يسوع البرموس
2019 /7 /26

مفاهيم رهبانية

مقتطفات من كلمات للمبتدئين

الجزء الأول

كلمات في توضيح بعض المفاهيم الرهبانية،

أُعطيت للمبتدئين بدير أنبا مقار،

ليست للنشر، بل لاستعمال الرهبان فقط.

المحتويات

صفحة

التسبحة وحضور الكنيسة [١] ٥

التسبحة وحضور الكنيسة [٢] ٨

الراهب والمواظبة على التسبحة..... ١٧

الراهب والاستمرارية..... ٢١

الراهب ومفهوم الجسد الواحد..... ٢٨

الراهب ومفهوم الطاعة ٣٨

ضرورة العمل للراهب..... ٤٩

دور العمل في حياة الراهب..... ٥٤

فائدة العمل بالنسبة للراهب ٥٨

الانحرافات التي يُمكن أن تَحدث في العمل.....٦٢

ما هو مفهوم "الراهب العمَّال" ؟ وتطبيق ذلك على حياة الراهب ... ٦٧

الراهب وكيفية التعامل مع العمّال ٧٩

الراهب والاحتكاكات ٨٩

موقف الراهب من الدالة والمزاح..... ٩٦

موقف الراهب من أخطاء الآخرين.....١٠٦

الراهب وأفكار الدينونة.....١٠٨

الراهب والنميمة ١١١

أهمية الزي الرهباني بالنسبة للراهب.....١١٦
الراهب وحياة الانفراد والسكون ١٢٠
الراهب والمسكن ١٢٩
الراهب وعلاقته بِمسكنه ١٣٤
الراهب والقنية ١٤١
لماذا يقطع الراهب علاقته بأقربائه الجسديين؟.....١٤٩
الراهب والرؤى والأحلام ١٥٧
الراهب والطموح ١٦٤
أسئلة متنوعة.....١٧٤
الراهب وأخبار الكنيسة.....١٨٠

التسبحة وحضور الكنيسة [١][1]

[عندما نقف أمامك جسديًا، اِنزعْ من عقولنا نوم الغفلة].

إن قطعة ⲦⲈⲚ ⲑⲎⲚⲞⲨ الموضوعة من آباء الكنيسة، هي قطعة واقعية تَمامًا، وهم لَم يخفوا الصعوبات التي تُقابل الراهب، وبالذات في القيام في نصف الليل.

بالطبع (حسب القطعة) توجد صعوبة في بداية اليقظة، أن الشخص يكون غير قادرٍ أن يُقدِّم مشاعر روحية، ويكون عقله في البداية مُظلمًا ويغشاه "نوم الغفلة".

ففي هذه الحالة، كل ما يَملكه الشخص هو أن يُحاول بكل طريقة أن ينهض من الفراش ويذهب للكنيسة، ويُقدِّم أقل درجة، وهي الوقوف أمام الرب جسديًا ⲥⲱⲙⲁⲧⲓⲕⲱⲥ .

ماذا نعمل ؟

✝ توجد نقاط يجب أن يراعيها الراهب أثناء جهاده في استيقاظه للتسبحة وفي حياته عمومًا:

[١] يجب أن يعتبر أن هذه الصعوبة ليست حالة شاذة، فكل القديسين مرُّوا بها، حتى أنَّها تسجَّلت في صلوات الكنيسة الرسْمية.

[٢] ومُمكن أن يُهاجِمك فكر هدَّام آخر، وهو: ما الفائدة من الوقوف الجسدي إذا كنتُ عندما أقوم يكون عقلي مظلمًا، ولا توجد أية فرصة لتقديم مشاعر روحية؟!

---

(١) حديث بتاريخ: ١٩٨٩/٧/٢٠ ، رقم الشريط: ٢٩

فهل أيضًا أستمر في تقديم عبادة جسدية؟ وهل الله يرتضي بها؟!

في الحقيقة إن كل الآباء الذين سبقونا قابلتهم هذه الصعوبة وبدأوا بها، وباتضاع وأمانة كبيرة بدأوا من هذه العبادة الجسدية، وعندما رأى الرب أمانتهم ورأى اشتياقهم الكبير، فالرب صالِح وأمين ومُحب ويتَرآف على جهاد الإنسان، فعندما يكون الإنسان أمينًا في تقديم آخر ما عنده، حتى إذا كان آخر ما لديه هو مُجرَّد الوقوف الجسدي "عندما نقف أمامك جسديًا"، فعندئذٍ يعطيه الرب العبادة بالروح والحق.

يقول البستان:

[كما يُشفقُ الأبُ على ابنِه، هكذا يشفقُ المسيحُ على الجسد العمَّال] (قول ٩٥٥).

ويقول أنبا مقار:

[ينبغي على الإنسان أن يغصب نفسه على الصلاة، حتى إن لم تكن له الصلاة الروحية. فإذا رأى الله جهاده وتغصبه ضد مشيئة قلبه، فإنه يعطيه الصلاة الحقيقية الروحانية] (عظة ١٩:٣).

ويقول أنبا أنطونيوس:

[ومَنْ يعمل هكذا (الجهاد)، فإن ربنا يتَراءف على أتعابه ويُنعم له بالنار غير المرئية ولا هيولانية لتحرق كل الأوجاع التي فيه وتُطهِّر عقله، وعند ذلك يسكن فيه الروح الذي لربنا يسوع المسيح] (رسالة ٥:٣).

كُنْ أمينًا في القليل :

أي باختصار:

قدِّم ما عندك، وربنا يُكمِّل عطيتك.

قدِّم العبادة الجسدية، والله يعطيك نار الروح القدس.

فلا يجب أبدًا أن يصغر قلبنا أو تصغر نفوسنا عندما نجد أنفسنا في نصف الليل ونحن مثقَّلين بالنعاس أو بثقل الجسد أو بنوم الغفلة، ولكن ينبغي أن نُلِحّ على الله أن «ينزع من عقولنا نوم الغفلة ويُعطينا يقظة» ويعطينا العبادة الروحية.

التسبحة وحضور الكنيسة [٢][٢]

سؤال:

«هل صحيح أن العمل بالنهار يعيق حضور التسبحة بالليل، كما هو إحساس الكثيرين في الدير، رهبان وإخوة ؟...»

الجواب:

طبعًا هذا غير صحيح، بل بالعكس، الساعتان اللتان تَقضيهما في التسبحة تأخذ فيهما جرعة روحية، تيار الحياة الأبدية ينسكب في قلبك وتَخرج بنشاط مُتجدِّد لأعمالك اليومية.

التسبحة تربطنا بالسماء :

قال أبونا مرّةً هذا المثل: لو أرادوا أن يُصوِّروا الراهب وهو خارج من التسبحة بكاميرا روحية، سوف يجدون كمثل سلسلة ذهبية تربط قلبه بالسماء، ويبقى بِهذه السلسلة طول النهار فرحان، لِماذا؟ لأن عينه قد انفتحت على العالَم الروحاني، فيكون تلقائيًا فرحانًا. ''اِفرحوا في الرب كل حين وأقول أيضًا اِفرحوا''. ليست هذه وصية بقدر ما هي حقيقة مُعاشة لِمَنْ عاش حياة التسبيح، وابتدأ نَهاره بالتسبيح، فتلقائيًا يكون متصلاً بالسماء، متصلاً بالحفلة السمائية وبتسبيح الملائكة، فيكون باستمرار فرحانًا بدون مَجهود ودون تكلُّف، وليس كأنه يريد أن يَحفظ وصية اِفرحوا في الرب كل حين، ولكن كحقيقة يعيشها تلقائيًا. وهذا الفرح يُجدِّد قدراته ونشاطه حتى يقوم بأعماله اليومية.

---

(٢) حديث بتاريخ: ٢٠٠٥/٢/١٨ ، رقم الشريط: ١١٩

⊕ وماذا عن الاحتكاكات في العمل ؟

سمعت كثيرين يقولون:

[الذي يُتعِبني ليس هو العمل في حد ذاته. أنا مستعد أن أعمل ليلاً ونهارًا. العمل لا يُتعبني، الذي يُتعِبني هو احتكاكات العمل ومشاكله. فتعب العمل هو تعب نفسي وليس هو تعب جسدي].

وهذا يؤيِّد ما نقوله، فالذي يَتعب في العمل بسبب الاحتكاكات، ليست راحته بأن ينام ساعتين زيادة، لأن تعب العمل ليس تعبًا جسديًا، ولكن تعب العمل بسبب أن حالته الروحية ليست على مستوى استيعاب هذه الاحتكاكات استيعابًا روحيًا. فلو كانت حياته الروحية قوية، لاستطاع أن يَهضم هذه الأعشاب المُرّة فتتحوَّل له إلَى تحسين صحته الروحية. ولكن لو كانت حالته الروحية متعبة أصلاً، تكون هذه الأطعمة صعبة، لا يستطيع أن يَهضمها بل يتقيَّأها، فيزداد التعب أكثر فأكثر.

فنفس الأطعمة (الظروف والمواقف)، الواحد يستوعبها ويَهضمها ويُحوِّلُها إلَى طاقة روحية، والآخر يتقيَّأها ويتعب منها وتزداد تعبه أكثر فأكثر. وهي هي نفس الظروف والمواقف.

التسبيح طاقة روحية :

فالذي يُوفي التسبيح حقَّه، هذا لا يزداد تعبه في العمل، بل بالعكس، يُجدِّد التسبيح فيه الطاقات الروحية التي تَجعله يستوعب كل تعب العمل روحيًا ويستفيد به، ويزداد في قامته الروحية.

لاحظ في أناجيل التجربة على الجبل، أنك تَجد في الثلاثة روايات الشيطان والروح القدس معًا. الاثنان يدفعان المسيح إلَى جبل التجربة! «أُصعِدَ يسوع إلى البرية من الروح لِيُجرَّب من إبليس» (مت٤: ١)، الاثنان هنا يشتركان في إصعاد المسيح لجبل التجربة، ولكن طبعًا يَختلف تَمامًا هدف الواحد عن الآخر: فالروح يسمح بالتجربة لكي يَجعلنا نتقدَّم ونتغلَّب عليها وننمو في قامتنا الروحية، أمَّا الشيطان فإنه يُثير التجربة لكي يُشكِّكنا في الطريق ويُعيدنا للوراء. والإنسان له أن يُنجِح قصد هذا أو قصد ذاك.

فصلاة التسبيح لا تتعارض مع الأعمال التي يقوم بها الراهب في النهار، ولا تُقلِّل من نشاطه في العمل، بل بالعكس تزيد من نشاطه وتزيد قدرته الروحية على القيام بالأعمال المادية.

بقية السؤال:

«...كما هو إحساس الكثيرين في الدير من رهبان وإخوة، فكيف نفهم أن فلانًا لا يَحضر، فهل الأصح لي أن لا أَحضر أنا أيضًا، بِمعنَى أنه طالَما أن الكل لا يَحضر، إذًا أكون أنا غلطانًا أن أحضر؟!»

الجواب:

✝ هذه لعبة عملها الشيطان يَجعلك تنظر لغيرك وتقارن نفسك بغيرك. عندما تنظر لغيرك يَحدث شيءٌ من اثنين:

[١] إمَّا أن تدين غيرك، وهذا ما يريده الشيطان، لأن كل مَنْ يدين غيره

بسبب سقطة وقع فيها تتخلَّى عنه النعمة. فالاحتمال الأكبَر أنه يقع في نفس السقطة التي وقع أخوه فيها. فهذا ألذ شيء عند الشيطان: أن يَجعلك تنظر لغيرك وتدينه، فتتخلَّى عنك النعمة وتقع في نفس ما تدين به.

[٢] أن تعمل كما يعمل أخوك، أي لا تَحضر كما لا يَحضر هو.

كيف نفلت من هذه اللعبة الشيطانية؟

لا تدين أخاك، والتمس له الأعذار.

ولكن لا تفعل مثله لأنك مُطالَب، أُنظُرْ إلَى ما أنتَ مُطالَب به، ولا تنظر إلَى ما هو أخوك مُطالَب به.

أُنظُرْ إلَى ما يطلبه منك المسيح، فطالَما أنت صحتك جيدة وظروفك تسمح لك، لا تنظر لغيرك في انتظامه أو عدمه، هذا شيء يَخصّه هو، وظروفه الله فقط يعلمها. أنتَ لا تعرف ظروفه، بل إن هذا غير مطلوب منك أن تفحصه.

راهب في البستان يقول لأخيه: أبي يرسلني إلى المخبز لكي أخبز، ولَما كان عُمّال المخبز كلهم علمانيين ويقولون كلامًا لا يليق، فإني لا أنتفع.

فقال له أخوه: أنتَ لا علاقة لكَ بِهم، ألَم ترَ في الكتَّاب كيف أن كل واحد يُطالَب من المعلِّم بِإتقان جزء غير ما هو مُطالَب به أخوه. لذلك، أُنظُرْ لِما هو مطلوب منك، ولا تنظر لِما يطلبه المعلِّم من أخيك الذي هو أكبَر منك، ولا للواجب المُطالَب به أخوك الذي هو أصغر منك (بستان الرهبان قول رقم ٣٣٢).

التطبيق:

عندما ظهر المسيح للتلاميذ على بَحر طبَرية بعد القيامة (يو ٢١)، قال لبطرس: «لـمَّا كنتَ أكثر حداثة كنتَ تُمنطِّق ذاتك وتمشي حيث تشاء، ولكن متى شختَ، فإنك تمدُّ يدَيك وآخر يُمنطِقُك ويحملك حيث لا تشاء. قال هذا مُشيرًا إلَى أية ميتة كان مُزمعًا أن يُمجِّد الله بها». وبذلك كان المسيح يُلـمِّح لبطرس أنه سوف يتبعه في الاستشهاد. حينئذ نظر بطرس إلَى يوحنا بِجواره، وقال للرب: «وهذا ما له؟» قال له الرب ما معناه: ليس هذا من شأنك، (خلِّيك في نفسك)، فإذا أردتُ أنا أن يبقى إلَى أن أجيء، فماذا لكَ؟ اتبعني أنتَ وليس لكَ شأن بغيرك.

فنحن علينا أن نفعل ما يُطالبنا به الله، فلا تنظر إلى ما يطلبه من أخيك. الله وحده يعرف ظروفه، والله وحده يرضى به ويُسرُّ به، وربما يُدخله قبلك الملكوت، مع أن جهاده أقل منك.

سؤال:

«كيفية التصرُّف من جهة الدخول والخروج والوقوف والجلوس في الكنيسة، وخاصة في القداس، وأيضًا التناول داخل الكنيسة، وبعد انتهاء القداس أيضًا».

الجواب:

+ الدخول إلَى الكنيسة له طقس معروف في التقليد: الإنسان وهو ذاهب من بيته إلَى الكنيسة يقول مزمور ''فرحتُ بالقائلين لي إلَى بيت الرب نذهب''، وعندما يصل إلَى باب الكنيسة يقول مزمور ''مساكنك مَحبوبة أيها الرب إله القوات''،

والمزمور من أجْمل وأحلى ما يُمكن لقلب الراهب. وعند الوصول للهيكل، نسجد ثلاث سَجدات: في السجدة الأولَى نقول: نسجد لكَ أيها المسيح، وفي السجدة الثانية نقول: مع أبيك الصالِح، وفي السجدة الثالثة نقول: والروح القدس. وجيد أن تتذكَّر في السَجدة الأولى علاقتك أنتَ بالمسيح ومقدار حبه اللانهائي لكَ «ليس لأحد حب أعظم من هذا...» (يو١٥: ١٣)، ثُمَّ في السجدة الثانية مقدار علاقة الآب بك، إنه هكذا أحبك الآب حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا تهلك (يو٣: ١٦)... ثُمَّ في السجدة الثالثة مقدار علاقتك بالروح القدس، إنه هو «يفحص كل شيء حتى أعماق الله» (١كو٢: ١٠)، ويُخبِرك بأعماق الآب وأعماق الابن (يو١٦: ١٤-١٥).

+ إذا كنتَ وصلتَ الكنيسة في بداية الصلاة تذهب أمام القديسين: أمام القديس يوحنا المعمدان وتقول:

ⲭⲉⲣⲉ Ⲓⲱⲁⲛⲛⲏⲥ ⲡⲓⲣⲉϥϯⲱⲙⲥ ⲡⲓⲥⲩⲥⲩⲉⲛⲏⲥ ⲛ̀Ⲑⲙⲁⲛⲟⲩⲏⲗ

ومعناها: السلام ليوحنا المعمدان نسيب عمانوئيل.

ثُمَّ تسجد عند جسد أنبا مقار، وأنتَ تقول:

ⲭⲉⲣⲉ ⲡⲓⲛⲓϣϯ ⲁⲃⲃⲁ Ⲙⲁⲕⲁⲣⲓ ⲡⲓϑⲏⲃⲥ ⲛ̀ⲧⲉ ϯⲙⲉⲧⲙⲟⲛⲁⲭⲟⲥ

ومعناها: السلام لك يا أنبا مقار مصباح الرهبنة.

ثُمَّ تُقبِّل وتُسلِّم على أيدي جَميع الرهبان إخوتك وتنتظر في مكانك.

+ الكلام داخل الكنيسة لا يَجوز مُطلقًا، فالكنيسة بيت الله، والقديسون

والملائكة حاضرون. وإذا اضطررنا للكلام، فيكون بصوت منخفض.

+ عند انتهاء الصلاة بالكنيسة والخروج من الكنيسة:

من أجْمل المناظر، أن ترى الرهبان يخرجون وهم صامتون وروحهم مشبَّعة بالجو الروحاني الذي عاشوا فيه في الكنيسة في حضرة العالَم السماوي.

أما أردأ المناظر عند خروج الرهبان، أن تَجد كل اثنين أو ثلاثة يتكلَّمون أو يضحكون أو يُثَرثرون كأنهم تلامذة خارجين من فصل عند رنين جرس الفسحة! يعني كانوا مكبوتين وخرجوا من كبتهم! طبعًا ليست هذه حالة الرهبان إطلاقًا.

+ المائدة جزء من الكنيسة، حتى من الناحية المعمارية. ففي الأديرة القديمة، كانت المائدة هي الخورس الثالث من الكنيسة، مثلما هو الحال في دير أنبا بيشوي، فإن المائدة الأثرية متصلة بالكنيسة الأثرية. وفي ديرنا، فإن المائدة الأثرية هي أمام باب كنيسة أباسخيرون، حيث أن كنيسة أباسخيرون كانت أصلاً دوكصار (مدخل) كنيسة أنبا مقار الكبيرة، فالعقد الكبير الذي داخل كنيسة أباسخيرون له نفس المقاسات والارتفاع الخاص بالعقد الكبير الذي عند السلالِم الرخام. هذه المنطقة كلها كانت كنيسة أنبا مقار الأصلية، والدوكصار (المدخل) الخاص بها كان هو كنيسة أباسخيرون الذي تَحوَّل بعد ذلك إلَى كنيسة.

فكانت المائدة القديمة أمام باب كنيسة أنبا مقار مباشرةً، لأن المائدة جزء من الكنيسة. فالرهبان عند خروجهم من الكنيسة وهم ذاهبون إلى المائدة يكون إحساسهم بأن الصلاة لَم تنتهِ، فالمائدة جزء لا يتجزَّأ من طقس الإفخارستيا.

والمسيح أسَّس طقس الإفخارستيا خلال عشاء: قدَّم جسده في بداية العشاء، وبعد العشاء الدم. فكان العشاء مَحصورًا ما بين توزيع الجسد وتوزيع الدم.

وبسبب ضعف البشر، اضطرت الكنيسة منذ أيام بولس الرسول أن تفصل العشاء عن طقس الإفخارستيا حتى تحتفظ الإفخارستيا بوقارها، ولكن ظلَّ العشاء يُقام بعد الإفخارستيا مباشرةً.

في ديرنا هذا، عندما بدأنا نأكل في المائدة الجديدة، أوصى أبونا الروحي الرهبان بأن يضع كل منهم "شال" على رأسه يمنعه من رؤية شيء غير ما هو في طبقه الخاص، فلا ينظر أحدٌ يَمينًا أو يسارًا، ليرى ماذا يأكل أخوه، أهو يأكل أكثر أم أقلّ، أهو صائم أم يأكل. إلَى أن جاء الصيف، وصعُبَ على الرهبان لبس الشال، فألغَى أبونا هذا القانون من الوجهة المادية دون أن يُلغي مضمونه وروحه، بِمعنَى أن لا ينظر أحد إلَى أخيه وماذا يأكل.

سؤال:

«رجاء توضيح السبب في أن الراهب يَخرج من الكنيسة من التسبحة قبل انتهاء مزامير باكر وقبل انصراف الجماعة كلها؟ هل يوجد سبب مادام يوجد وقت كافٍ بين التسبحة وميعاد العمل؟»

الجواب:

نفس الإجابة. إن كاتب هذا السؤال مُتحيِّز بسبب الآخرين.

كما قلنا: لا تنظر إلَى الآخرين. كل واحد عليه أن ينظر إلَى ما يُطالبه به

المسيح. ما الذي يطلبه منك الرب؟ وماذا أعطاكَ من إمكانيات؟ انظر إلى هذا فقط وافعله. ولكن هل أخوك صحته أضعف منكَ، أم صحته أقوى؛ قامته الروحية أضعف أو أقوى؛ أو أبوه الروحي سَمَح له بكذا أو لَم يسمح... كل هذه الأمور يجب أن لا تُشغل بالك بها، ولكن اِشغلْ نفسك فقط بما هو الذي يطالبك به الله.

فكما قرأنا في البستان، كل تلميذ في الكتَّاب مُطالَب بِما يطالبه به المعلِّم فقط، وغير مُطالَب بأن ينظر لزملائه الآخرين ماذا يَحفظون؟

هذه هي الوسيلة الوحيدة لكي تفلت من هذا الفخ الذي ينصبه لك الشيطان، هذا الفخ المزدوج كما قلنا.

الراهب والمواظبة على التسبحة[٣]

سؤال:

ماذا أفعل لأواظب على التسبحة، لأني أجد أن جسمي ثقيل وذهني مظلم؟

الجواب:

هناك خدعة يعملها العدو، وهو أنه يأتي لنا ويقول: استَرِحْ اليوم وغدًا تستطيع أن تقوم. وهذه الخدعة هي التي تُوقِع الكثير مِنَّا في الفخ، والذي بعد أن نقع فيه لا نستطيع أن نَخرج منه مرّةً أخرى.

⊕ هناك في البستان قصة:

[شيخ حدَّثته أفكاره قائلةً له: ''استَرِحْ اليوم وتُبْ غدًا''، فقال: ''لن يكون ذلك أبدًا، بل علّيَّ أن أتوب اليوم، ولتكن مشيئة الرب غدًا''. كذلك حدَّثته أفكاره من جهة الصوم قائلةً: ''كُلْ اليوم وتنسَّك غدًا''، فقال: ''لن أفعل ذلك، لكن أصوم اليوم، وتتمّ إرادة الله غدًا''] (قول ٤٠٥).

احتَرِسْ من خداع العدو :

ولكن خدعة الشيطان في قيام نصف الليل أكثَر دهاءً من مُجرَّد أن يَجعلك تُؤجِّل للغد، فالذي يَحدث أنه عندما يُقنعك بأنك عندما تكون مُتعبًا لا تقوم وعندما تكون غير مُتعب تقوم وتحضر التسبحة، عندما يُدخل فيك هذا المبدأ

---

(٣) حديث بتاريخ: ٢٠٠٥/٣/٢٥ ، رقم الشريط: ١٢٢

سوف تجد أن الجسم تلقائيًا (طالَما توجد أمامه فرصة موضوعة أنه لا يقوم)، سوف يزيد في هذا الميعاد إحساسك بتعب الجسد وبأنه ثقيل وبأن ذهنك مظلم.

النوم عبارة عن دورة، فطالَما سَمحتَ لِجسدك أن يقوم متأخِّرًا، فعندما تريد أن تنام مُبكِّرًا، فسوف لا تستطيع، وسوف تجد نفسك نشيطًا ومن الصعب أن تنام قبل الساعة ١٢، وبالطبع بعد هذا يستحيل أن تقوم الساعة ٣ أو ٤ وأنتَ نشيط.

فهذه الدورة تشغِّل نفسها بنفسها، هي بِمثابة خيط يلفّه عليك الشيطان يومًا بعد يوم. وبهذا الخيط يصنع الفخ الذي لن تستطيع بعد ذلك أن تتخلَّص منه.

اِغصبْ نفسك :

ولكن لو ألزمتَ نفسكَ في اليوم الذي تكون فيه مُتعَبًا أو عندك إحساس أنك مُتعَب، وعندك إحساس أن ذهنك غير متيقِّظ، لو أنك ألزمتَ نفسكَ في هذا اليوم أن تقوم وتذهب إلَى الكنيسة، وتقوم من أجل محبة المسيح، فهذا سوف يُعطيِ جسمك بداية الدورة السليمة. سوف تجد أنك ما دُمتَ ألزمتَ جسمك أنه لابد أن يقوم الساعة ٤، سوف تجد أنه هو من نفسه سوف يطلب النوم آخر النهار بدون سهر. وبعد ذلك، بعد أيامٍ قليلة، سوف يضبط نفسه طالما يجد أنه لا مفر من أن يستيقظ في هذا الميعاد المبكِّر. سوف يضطر أن يضبط نفسه ومواعيده لينام مبكِّرًا ويستيقظ مبكِّرًا، وبالتالي تسير الدورة بطريقة سليمة.

كل هذا لو كنتَ حازمًا مع جسمك في الصحيان مبكِّرًا.

ولكنك لو تساهلتَ معه، فسوف يضحك عليك، ولن تستطيع بعد ذلك أن تتغلَّب على النوم في هذا الموعد.

اِسألْ كل مَنْ سبقك، فسوف يقول لك الكثيرون: أنا أحب التسبحة، أنا كنتُ حريصًا جدًا جدًا عليها قبل ما أحضر إلَى الدير، هذه التسبحة هي حياتي وهي التي أحضرتني إلى الدير. فلِماذا إذًا تركتها؟! يقول: لا أعرف، غصبًا عنِّي، أنا أتمنَّى أن أواظب عليها.

ولكن هذه هي اللعبة التي صنعها الشيطان. إنه فخ يبدو بسيطًا، ولكن مُخفى فيه دهاء عميق.

ظاهرة مُحزنة :

وتصير النتيجة ظاهرة من أردأ ما يُمكن في ديرنا هذا. ديرنا هذا فيه أشياء كثيرة حسنة، ولكن أردأ ظاهرة[٤] أن الأخ الجديد المبتديء الذي يلبس أزرق أو بنِّي يكون نشيطًا جدًا في البداية في نصف الليل، ولكن بعد قليل، بعد ما يلبس أسود، بعدها بشهر أو شهرين أو بسنة أو سنتين، تجده يتراخى، ويفقد نشاطه الأول، ويكون ظاهره، لسان حاله، كعروس كانت مَخطوبة، وفي زمان الخطوبة كانت تريد أن تُرضي العريس بكل وسيلة، لأنها هي شحَّاتة لا تستحقه، وتريد أن يأخذها العريس إلَى بيته، ويُسكِّنها في بيته، ولكن بعدما يتحقَّق لَها ما أرادت، حينئذ تبتديء تتراخَى، وكأن لسان حالِها يقول: ''كنتُ بأضحك عليك علشان أسكن في بيتك''!!

لا أقول إن هذه هي حقيقة رهبان الدير، ولكن أقول إن هذه ظاهرة رديئة تبدو علينا.

---

(٤) لاحظ معنى كلمة ''ظاهرة'' أي بحسب الظاهر، لأن الله وحده يعرف خفايا القلوب، والله وحده يستطيع أن يعرف الأعماق.

وكيف نتغلَّب عليها ؟

أن نسمع قول البستان: [لن يكون هذا أبدًا، ولكنِّي أقوم اليوم، ولتكن مشيئة الرب غدًا].

فالشيء الذي في يدك هو اليوم، فإن تراخيتَ اليوم، تكون أعطيتَ فرصة للشيطان أن يجد له فيك ركنًا به يستطيع أن يتغلَّب عليك في الغد.

ولكنك لو اخترتَ أن تكون حازمًا اليوم، ولتكن مشيئة الرب غدًا، سوف تجد أن غدًا سيكون الجهاد أسهل من اليوم، وبعد غدٍ أكثر سهولة أيضًا، طالَما أنك تتغلَّب على هذه الصعوبة يومًا بيوم. وسوف تجد بعد قليل أن الصعوبة كلها زالت، وأن جسمك تعوَّد أن يكون نشيطًا جدًا في هذا الموعد، وذهنك صاحٍ، وقلبك متيقِّظ وروحك مشتاقة لخدمة الرب.

+

+ + +

+

الراهب والاستمرارية(٥)

⊕ بِمعنَى كيف يواصل الراهب الطريق دون التقليل من سرعته أو من حرارته أو من نشاطه.

أهمية هذا الموضوع أنه من الوجهة العملية نَجد أن الطبيعة البشرية مَيَّالة إلى أن تبدأ بنشاطٍ كبيرٍ وبعد هذا تُقلِّل نشاطها. هذا عيبٌ من عيوب طبيعتنا الإنسانية، لابد أن نعرفه وننتبه إليه ولا نرضخ له. فأي شيء جديد مرغوب فيه، ومع مضي الوقت يقل الانجذاب إليه؛ لكن الخطورة الكبيرة أن هذا العيب يمتد إلى الروحيات.

المسيح، الذي خلقنا وخلق طبيعتنا ويعرف صفاتها وعيوبها، أشار كثيرًا إلَى هذا الموضوع، فالإنجيل مَملوء تنبيهات على ضرورة الاستمرارية في الحياة الروحية:

[١] في مَثَل الزارع: الفئة الثانية: «وَالَّذِينَ عَلَى الصَّخْرِ هُمُ الَّذِين مَتَى سَمِعُوا يَقْبَلُونَ الْكَلِمَةَ بِفَرَحٍ. وَهؤُلاَءِ لَيْسَ لَهُمْ أَصْلٌ، فَيُؤْمِنُونَ إِلَى حِينٍ، وَفِي وَقْتِ التَّجْرِبَةِ يَرْتَدُّونَ» (لو ٨:١٣).

لاحظ ٣ عبارات:

١- «يقبلون الكلمة بفرح»: نشاط كبير في البداية وفرح بالطريق الروحي الجديد.

٢- «ليس لَهم أصل»: لِماذا؟ لأنهم وقعوا على صخر، يعني أرض ليس لَها سُمْك إلاَّ ٢ أو ٣ سم، لِهذا نبتت سريعًا، ولأن ليس لَها أصل فعندما طلعت الشمس، فإن الشمس جفَّفتها وماتت.

---

(٥) حديث بتاريخ: ٢٠٠٤/٨/٢٧ ، رقم الشريط: ١٠٧

٣- «وفي وقت التجربة يرتدُّون»: كلمة ''يرتد'' لا تعني بِالضرورة يُغيِّر دينه، ولكن يرتدّ بِمعنَى يرجع للوراء بدلاً من التقدُّم للأمام، بِمعنَى يُنقص من نشاطه ومن صلواته، فإذا كان في بداية حياته يَحضر الصلاة من أولِها إلَى آخرها يصبح الآن يَحضر نِصفها، يُقلِّل من اشتياقات قلبه، وتُصبح صلواته روتينية.

[٢] وفي مرّةٍ أخرى يقول المسيح لتلاميذه: «أُذكروا إمرأة لوط» (لو١٧: ٣٢). ما الذي فعلته إمرأة لوط؟ كل الذي فعلته أنها نظرت إلَى الوراء. مُجرَّد النظر للخلف أنهى عليها، صارت عمود ملح.

[٣] الكنيسة كانت حكيمة ومُدركة أهمية الاستمرارية، فوضعت كأول إنجيل من أناجيل نصف الليل إنجيل العشر عذارى. وهو إنجيل في جوهره يُركِّز على موضوع الاستمرارية. العشرة كلهن كنَّ عذارى؛ متبتلات، وكلهن قُمن وأنَرْن مصابيحهن، وكلهن كان في قصدهن ونيتهن أنهن يستقبلن العريس، ولكن الذي فرَّق هؤلاء من أولئك أن الحكيمات كان لديهن زيتٌ. المجموعتان كان عندهن نار، ولكن الزيت هو الذي يجعل النار تستمر أم لا.

النار: هي الحرارة الروحية.

والزيت: مهما كان ما يرمز إليه، فهو ما يَجعل النار تستمر في الإيقاد.

وهنا تظهر أهمية الاستمرارية وخطورة عدم الاستمرارية في هذا المثل.

[٤] مَثَل البرج وحساب النفقة (لو١٤: ٢٨): قصدُ المسيح من هذا المثل ومن توصيته بحساب النفقة قبل البداية هو أن يسألنا: هل أنتَ مُصمِّم أن تستمر حتى

النهاية أم ستأتي في منتصف الطريق وتقف؟

فالمسيح يستنفرك، لكي تُجيب: نعم أنا مُصمِّم.

المسيح يقول: إن كان لكَ نية في عدم إكمال الطريق، فالأفضل لكَ أن لا تتقدَّم.

فالشخص الذي عنده تصميم على مَحبة المسيح، يُجيب: أنا يا رب مُصمِّم تمامًا على أن أتبعك إلَى النهاية وأثبت بعزمٍ.

+ قول لأنبا أنطونيوس:

> **[وأنا أرى أن نعمة الروح القدس هي على أشدّ استعداد لِملء أولئك الذين أقبلوا على الأعمال الروحية بكل قلبهم وصمَّموا منذ البداية أن يثبتوا في الطريق بعزمٍ]**[٦].

أما الذي يقول نبتديء ونرى الأيام تُبيِّن: هل ننفع أم لا ننفع، هل نستمر أم نرجع للخلف!! هذا الشخص لا يستأمنه الروح القدس على الحرارة الروحية.

فقصدُ المسيح من مَثَل حساب النفقة هو أن يَجعلنا منذ البداية نُصمِّم أن نثبت في الطريق بعزم.

+ من أقوال أنبا أنطونيوس في سيرة حياته في عظة ألقاها على الجُموعٍ التي جاءت تزوره. وكانت نتيجة هذه العظة أن أقبل كثيرون على الرهبنة:

---

(٦) الرسالة الأولى بحسب ما ذُكرت في كتاب ''أنطونيوس ناسك إنجيلي''، العنصر النسكي الثاني.

[إذ قد بدأنا في طريق الفضيلة فعلاً وسرنا فيه، وَجَبَ أن نزداد اجتهادًا للحصول على تلك الأمور التي وضعها الروح القدس أمامنا، ولا يلتفت أحد إلَى الأمور التي خلفه كامرأة لوط] (حياة أنطونيوس: ٢٠).

+ ويقول القديس يوحنا الدرجي في كتابه سُلم الفضائل:

[من هو إذن الراهب الحكيم إلا الذي احتفظ بحرارته من أن تُطفأ، وحتى إلى زمان خروجه لا يكف أن يُشعل في قلبه نارًا على نار، ونشاطًا على نشاط، وأشواقًا على أشواق، وغيرةً فوق غيرة].

وكلمة "الحكيم" تُذكِّرنا بالعذارى الحكيمات، فالحكيم هو الذي نجح في الاستمرارية، احتفظ بِحرارته من أن تُطفَأ، وحتى إلَى زمان خروجه لا يكفّ أن يُشعل في قلبه نارًا على نارٍ وأشواقًا على أشواق وغيرةً فوق غيرة.

الراهب الحكيم هو راهب شغَّال بكفاءته القصوى على الدوام، بِمعنَى أنه لا يُؤخِّر عمله إلَى الغد، فهو يعطي المسيح كل شيء اليوم، وغدًا سوف يعطي المسيح أكثر من اليوم.

عندما تعطي كل شيء للمسيح، فإن المسيح سوف يُوسِّع قلبك، ويُزوِّد وزناتك، ويُزيدك حرارة فوق حرارة. فتجد في ثاني يوم أن عندك حرارة أكثر.

هذا يعني أن الراهب لا يُخفي عافيته، ولايقتصد في بذله، بل يعطي كل ما عنده للمسيح، والمسيح سوف يُزيده لكي في الغد يُعطيه أكثر.

لا تُحزنوا قلب المسيح :

من المفاهيم الرهبانية الخاطئة والمنتشرة عمليًا: أن الراهب يبتديء وهو لابس أزرق أو بنِّي بنشاط ويقوم في نصف الليل، ويُشعل مصباحه كالحكيمات، وبعد ذلك عندما تطول الأيام يبدأ يُقلِّل من نشاطه، وينظر إلَى مَنْ حوله، ويقول في نفسه: وهل أكون أفضل من فلان؟ إنه ينام، فسأنام مثله.

هذا من أكثر ما يُحزن قلب المسيح. وكأن عروسًا تأتي للمسيح وتريد أن تعجبه لكي يَخطبها لنفسه، وتُقدِّم أفضل ما عندها من مَحبة. وبعدما يأخذها، إذ بِها تتوانى، ولسان حالِها: أنا ضحكت عليك! هذا من أشدّ ما يُحزن قلب المسيح.

لكن العذراء الحكيمة بعدما يأخذها المسيح تزداد في نشاطها، تزداد في حبِّها، وتزداد في أن تُقدِّم له الأطايب التي تُسرّ قلبه، بل كل يوم تَخترع شيئًا جديدًا لزيادة مَحبتها له، وكأن الأشياء القديمة لا تكفي أن تعجب العريس، فتبحث ما الذي يعجب العريس أكثر وتقوم بعمله. هذه هي العذراء الحكيمة.

ملحوظة:

عندما ننظر أوضاعًا رديئة من حولنا، لابد أن نعلم أن هذه أوضاع رديئة، ولابد أن يكون لدينا إفراز ونقول هذا الوضع صح وذاك الوضع خطأ.

أما عن الأفراد، فليس لنا أن ندينهم. الله وحده يعلم ظروف كل فرد. كل واحد له ظروفه، ومَنْ الذي يُقدِّر ظروفه؟ واحد وحيد وهو الذي خلقه، الذي يرى داخل القلب. أمَّا نَحن، الذين نرى من الخارج، لا نستطيع إطلاقًا أن نُقدِّر ظروف

كل أحد. «اذًا لا تحكموا في شيء قبل الوقت حتى يأتي الرب الذي سيُنير خفايا الظلام ويظهر آراء القلوب. وحينئذ يكون المدح لكل واحد من الله» (١كو٤:٥).

+ من أقوال أنبا أنطونيوس:

> **[لا تتَراجعوا بعد أن اِبتدأتُم، أو تَخور عزائمكم في الضيق، ولا تقولوا لقد عشنا طويلاً في النسك، بل بالحري لنَزدَدْ غيرةً كأننا كل يوم مُبتدئون[٧]]**

(حياة أنطونيوس ١٦).

هنا القديس أنطونيوس يقصد أن يقول لنا: لا تقل إنِّي وصلت لِمستوى مُعيَّن. إذًا، يكفي إلَى هذا الحدَ ... لا ... فمهما وصلتَ اِعتبِر أن هذا المستوى لا يُمثِّل شيئًا بالنسبة للمعروض أمامك.

المسيح مثالنا الأعلى :

هنا أهمية ألاَّ تُقارن نفسك إلاَّ بالمسيح. لا تُقارن نفسك بأخيك لأن هذا يضرُّك، لأنك لو وجدتَ نفسك أفضل منه، ستبدأ تفتُر وتقول كفاية لغاية هنا. ولو قارنت نفسك بآخر أخذ أكثر منك، سيأتي لك صغر نفس، وتعتبِر أن الله لَم يُعطِكَ بل إنه يعطي الآخرين أكثر منك. هذا خطأ، وذاك خطأ. لكن قارن نفسك بالمسيح فقط «أسعى لعلِّي أُدرك الذي لأجله أدركني أيضًا المسيح» (في٣:١٢). فعندما تُقارن نفسك بالمسيح تَجد نفسك مُبتدئًا وصفرًا على الشمال بالنسبة لِما

(٧) كان الأب متى المسكين يُشدِّد دائمًا على أن نذكر باستمرار حرارة الأيام الأولَى.

عمله المسيح من أجلك. أمَّا الذي عملتَه أنتَ من أجل المسيح فهو لا يساوي شيئًا.

وهنا نتذكَّر قول القديس إيسيذوروس عندما أراد الإخوة أن ينيِّحوه بعد أن شاخَ، قائلين: «أيها الأب، أَرِح نفسَك لأنك قد شختَ»، فقال:

[لو أحرقوا إيسيذوروس بالنار وذرّوا رماده، فلن يكون لي فضلٌ، لأن ابن الله من أجلي نَزَلَ إلَى الأرض] (بستان الرهبان، قول رقم ١٧٣).

لِماذا هذا النشاط في هذه الشيخوخة؟ لأن الروح تؤثر على الجسد؛ أي عندما تكون الروح ضعيفة ومتعثرة، قد يمرض الجسد لأي سبب؛ وعندما تكون الروح نشيطة، فإن الجسد لو كان مريضًا يُمكن أن يَصحو (يُمكن، وليس دائمًا).

ما هو سرّ الاستمرارية، أو كيف نُشعل نارًا على نارٍ وأشواقًا على أشواقٍ؟ الرد على هذا التساؤل هو أن نُقارن أنفسنا بالمسيح. أُنظر ماذا صنع الرب من أجلك!

«نَحْنُ نُحِبُّهُ لأَنَّهُ هُوَ أَحَبَّنَا أَوَّلاً» (١يو ٤:١٩).

«فِي هذَا هِيَ الْمَحَبَّةُ: لَيْسَ أَنَّنَا نَحْنُ أَحْبَبْنَا اللهَ، بَلْ أَنَّهُ هُوَ أَحَبَّنَا، وَأَرْسَلَ ابْنَهُ كَفَّارَةً لِخَطَايَانَا» (١يو ٤:١٠).

فانظرْ، ماذا صنع المسيح من أجلك؟ هذه هي الفكرة البسيطة التي كانت عند القديس إيسيذوروس، والتي جعلته نشيطًا إلَى هذا الحد.

مقارنة نفسك بالمسيح هي التي تَحفظك وتَجعلك غيورًا وتَمنع نشاطك من أن يقلّ ومسيرتك من أن تتوقَّف أو تعود للخلف.

لا تنظرْ إلَى الذين حولك، بل أُنظرْ دائمًا للمسيح، وقارنْ نفسك به.

الراهب ومفهوم الجسد الواحد[٨]

⊕ هذا بالطبع مفهوم مسيحي عام وليس خاصًا بالرهبنة فقط. ولكننا سنتكلَّم عنه فيما يخص حياتنا الرهبانية العملية.

قراءة من الرسالة الأولَى لِمعلِّمنا بولس الرسول إلَى أهل كورنثوس :

«لأَنَّهُ كَمَا أَنَّ الْجَسَدَ هُوَ وَاحِدٌ وَلَهُ أَعْضَاءٌ كَثِيرَةٌ، وَكُلُّ أَعْضَاءِ الْجَسَدِ الْوَاحِدِ إِذَا كَانَتْ كَثِيرَةً هِيَ جَسَدٌ وَاحِدٌ، كَذلِكَ الْمَسِيحُ أَيْضًا[٩]. لأَنَّنَا جَمِيعَنَا بِرُوحٍ وَاحِدٍ أَيْضًا اعْتَمَدْنَا إِلَى جَسَدٍ وَاحِدٍ، يَهُودًا كُنَّا أَمْ يُونَانِيِّينَ، عَبِيدًا أَمْ أَحْرَارًا، وَجَمِيعُنَا سُقِينَا رُوحًا وَاحِدًا. فَإِنَّ الْجَسَدَ أَيْضًا لَيْسَ عُضْوًا وَاحِدًا بَلْ أَعْضَاءٌ كَثِيرَةٌ. إِنْ قَالَتِ الرِّجْلُ: «لأَنِّي لَسْتُ يَدًا لَسْتُ مِنَ الْجَسَدِ». أَفَلَمْ تَكُنْ لِذلِكَ مِنَ الْجَسَدِ؟ وَإِنْ قَالَتِ الأُذُنُ: «لأَنِّي لَسْتُ عَيْنًا لَسْتُ مِنَ الْجَسَدِ». أَفَلَمْ تَكُنْ لِذلِكَ مِنَ الْجَسَدِ؟ لَوْ كَانَ كُلُّ الْجَسَدِ عَيْنًا، فَأَيْنَ السَّمْعُ؟ لَوْ كَانَ الْكُلُّ سَمْعًا، فَأَيْنَ الشَّمُّ؟ وَأَمَّا الآنَ فَقَدْ وَضَعَ اللهُ الأَعْضَاءَ، كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهَا فِي الْجَسَدِ، كَمَا أَرَادَ. وَلكِنْ لَوْ كَانَ جَمِيعُهَا عُضْوًا وَاحِدًا، أَيْنَ الْجَسَدُ؟ فَالآنَ أَعْضَاءٌ كَثِيرَةٌ، وَلكِنْ جَسَدٌ وَاحِدٌ. لاَ تَقْدِرُ الْعَيْنُ أَنْ تَقُولَ لِلْيَدِ: «لاَ حَاجَةَ لِي إِلَيْكِ!». أَوِ الرَّأْسُ أَيْضًا لِلرِّجْلَيْنِ: «لاَ حَاجَةَ لِي إِلَيْكُمَا!». بَلْ بِالأَوْلَى أَعْضَاءُ الْجَسَدِ الَّتِي تَظْهَرُ أَضْعَفَ هِيَ ضَرُورِيَّةٌ. وَأَعْضَاءُ الْجَسَدِ الَّتِي نَحْسِبُ أَنَّهَا بِلاَ كَرَامَةٍ نُعْطِيهَا كَرَامَةً أَفْضَلَ. وَالأَعْضَاءُ الْقَبِيحَةُ فِينَا لَهَا

---

(٨) حديث بتاريخ: ٢٢/١٠/٢٠٠٤ ، رقم الشريط: ١١٠

(٩) لاحظ أنه لَم يقل: كذلك الكنيسة أيضًا، بل: كذلك المسيح أيضًا. وهذا القول أقوى جدًا، لأنه اعتبَر أن المسيح هو هو الجسد الواحد لكل المؤمنين الذين هم أعضاؤه.

جَمَالٌ أَفْضَلُ. وَأَمَّا الْجَمِيلَةُ فينا فَلَيْسَ لَهَا احْتِيَاجٌ. لكِنَّ اللهَ مَزَجَ الْجَسَدَ، مُعْطِيًا النَّاقِصَ كَرَامَةً أَفْضَلَ. لِكَيْ لاَ يَكُونَ انْشِقَاقٌ فِي الْجَسَدِ، بَلْ تَهْتَمُّ الأَعْضَاءُ اهْتِمَامًا وَاحِدًا بَعْضُهَا لِبَعْضٍ. فَإِنْ كَانَ عُضْوٌ وَاحِدٌ يَتَأَلَّمُ، فَجَمِيعُ الأَعْضَاءِ تَتَأَلَّمُ مَعَهُ. وَإِنْ كَانَ عُضْوٌ وَاحِدٌ يُكَرَّمُ، فَجَمِيعُ الأَعْضَاءِ تَفْرَحُ مَعَهُ. وَأَمَّا أَنْتُمْ فَجَسَدُ الْمَسِيحِ، وَأَعْضَاؤُهُ أَفْرَادًا» (١كو ١٢:١٢-٢٧).

⊕ مفهوم الجسد الواحد هو مفهوم متَّسع جدًا، ويتضمَّن تقريبًا كل ظروف حياتنا بدءًا من اجتماعنا معًا للصلاة في الكنيسة، إذ أن اجتماعنا معًا في الصلاة هو أهم تَحقيق لكياننا كَجسد المسيح الواحد.

قراءة من الدسقولية[١٠]:

> **[علِّم أنتَ أيها الأسقف الشعب ومُرْهم وعلِّمهم أن يلازموا الكنيسة بُكرة وعشية كل يوم، وأن لا يثبتوا خارجًا عنها البتة، بل يَجتمعوا إليها كل حين لئلاَّ تضعف الكنيسة بقيامهم خارجًا عنها أو بتَركهم جسد المسيح تُعوِزه أعضاء منه[١١]... فلا تقوموا خارجًا عن اجتماع الكنيسة، ولا تتفرَّقوا من أنفسكم، لأنكم أنتم أعضاء المسيح، لأنه هو رأسنا كوعده الذي وعده إيانا. وهو كائن معنا ومشاركنا، فلا تتكاسلوا أنتم**

(١٠) لاحظ أن الدسقولية لا تُخاطب مَجمع رهبان ولكن جَماعة مؤمنين عاديين، ولكن للأسف يَعسُر تطبيق هذا الكلام الآن حتى على مَجمع الرهبان.

(١١) اعتبَر أن التغيُّب عن الكنيسة هو خطأ ضد جسد المسيح، لأننا نَجعله (أي جسد المسيح) ناقصًا، ينقصه أعضاء منه، ونَحن مسؤولون عن هذا النقص بتغيُّبنا.

ولا تُقطِّعوا أعضاء مُخلِّصنا ولا تُفرِّقوه من جسده ولا تُفرِّقوا أعضاءه][١٢].

هذا الكلام خطير. فقد رَفَعَ أهمية اجتماع الجَماعة كلها في الكنيسة إلَى مستوى أمانتنا نَحو جسد المسيح الذي نَحن أعضاء منه، واعتبَر التغيُّب أو التكاسل كأنه تقطيع أعضاء مُخلِّصنا وأيضًا تفريق الرأس من الجسد عندما نتكاسل ونتمنَّع من الحضور حول المسيح كَجسد واحد.

تطبيق عملي آخر على كياننا كَجسد المسيح :

⊕ الحرص على حفظ وحدانية الرأي، التوافق في الرأي:

«أَطْلُبُ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ، بِاسْمِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، أَنْ تَقُولُوا جَمِيعُكُمْ قَوْلاً وَاحِدًا، وَلاَ يَكُونَ بَيْنَكُمُ انْشِقَاقَاتٌ بَلْ كُونُوا كَامِلِينَ فِي فِكْرٍ وَاحِدٍ وَرَأْيٍ وَاحِدٍ» (١كو ١:١٠).

تطبيق: اِثنان يعملان معًا في عمل ما، ويطلب أحدهما أن يُعمل هذا العمل بالطريقة الفلانية، والآخر عنده تلقائية أن يُغيِّر ما قاله أخوه! فلو أن أخاه قال شِمال هو يقول يَمين!

فلو أننا أعضاء في جسد واحد، تكون التلقائية هي أن نوافق نَحن أخانا على ما قاله، طالَما ليس فيه ضرر. بِمعنَى أن لا يكون عندي الرد فعل التلقائي أنِّي

(١٢) الدسقولية، الفصل العاشر: ٥٠-٥١

أُناقض، ولكن تلقائيتي الأولَى هي أنِّي أوافق. ولكن رُبَّما يقول أحد إن هذه مسايرة. لا، هذه الموافقة هي حفظ لوحدانية الروح، كما نقول صباح كل يوم قبل خروجنا للحياة العملية: «مُسرعين إلَى حفظ وحدانية الروح»، يَعني تلقائيتك تكون دائمًا مُتَّجهة إلَى حفظ وحدانية الروح.

والأساس الذي وراء هذا الكلام هو: كياننا كأعضاء في جسد المسيح الواحد. هذا هو الأساس المخفي الذي يُبنَى عليه التوافق في الرأي والسرعة في حفظ وحدانية الروح.

نشيد الإخلاء :

أراد القديس بولس الرسول أن يُوصِي مؤمني كنيسة فيلبي بوحدانية الرأي فقال:

«تَمِّمُوا فَرَحِي حَتَّى تَفْتَكِرُوا فِكْرًا وَاحِدًا وَلَكُمْ مَحَبَّةٌ وَاحِدَةٌ بِنَفْسٍ وَاحِدَةٍ، مُفْتَكِرِينَ شَيْئًا وَاحِدًا، لاَ شَيْئًا بِتَحَزُّبٍ أَوْ بِعُجْبٍ، بَلْ بِتَوَاضُعٍ حَاسِبِينَ بَعْضُكُمُ الْبَعْضَ أَفْضَلَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ. (كل هذا مبني على أننا أعضاء في جسد واحد والمسيح هو الرأس). لاَ تَنْظُرُوا كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى مَا هُوَ لِنَفْسِهِ، بَلْ كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى مَا هُوَ لآخَرِينَ أَيْضًا. فَلْيَكُنْ فيكُمْ هذَا الْفِكْرُ الَّذِي في الْمَسِيحِ يَسُوعَ أَيْضًا: الَّذِي إِذْ كَانَ في صُورَةِ اللهِ، لَمْ يَحْسِبْ خُلْسَةً أَنْ يَكُونَ مُعَادِلاً للهِ. لكِنَّهُ أَخْلَى نَفْسَهُ، آخِذًا صُورَةَ عَبْدٍ صَائِرًا في شِبْهِ النَّاسِ» (فيلبي ٢:٢-٧).

كل هذه الوصايا مبنية على أساس أننا أعضاء في جسد المسيح الواحد، فلا تقدر العين أن تستقلَّ وتقول أنا غير مُحتاجة للأذن أو الرجلين، أو طالَما أنا أعمل ما أراه صحيحًا، لا يَهمني إذا تعثَّر الآخرون، ما أعمله يَخصُّني أنا وحدي!

عكس مفهوم الجسد الواحد: الانفرادية والاستقلالية :

[١] الانفرادية :

معناها أن أعمل ما يُرضي ضميري، ولا يَهمُّني ما يراه أخي.

قول للقديس أنبا أنطونيوس:

[اِعلموا أن حياتنا هي من بعضنا البعض] (رسالة ٦: ٦).

أي لا يقدر أحدنا أن يعيش بنفسه وحده، ولا أحد يستطيع أن يَخلُص بنفسه وحده، لكن خلاصك هو من خلاص أخيك، وحياتك هي من حياة أخيك.

فيستحيل أن توجد انفرادية في حياتنا المسيحية أو الرهبانية.

واجَهَ القديس بولس الرسول مشكلة الانفرادية عند أهل كورنثوس في موضوع ما ذُبِح للأوثان، حيث كان الوثنيون يذبَحون للوثن ذبيحة ويبيعونها في الملحمة، فالذي يشتَري منها فكأنه ينتمي لِهذا الوثن. فكان الأقوياء روحيًا يقولون إنه لا يوجد أوثان، وهذه كلها خرافات، وكل ما يُباع في الملحمة يُمكن أن يُؤكَل دون مشكلة. هذا الكلام صحيح، والقديس بولس الرسول يوافقهم على ما يقولونه، فطالَما أنتَ ضميرك قوي، وتعلم أنه لا يوجد شيء اسْمه وثن، فيمكنك أن تأكل، ولكن إن قال لكَ واحدٌ إن هذا مذبوح لوثنٍ، وهو يعتقد في ضميره الضعيف بِما يقول، فينبغي أن تَمتنع عن أكل ما ذُبِحَ للأوثان لئلاَّ تُعثِر ضمير أخيك.

ولخَّص هذا الموضوع بقوله: «لا تُهلك بطعامك الأخ الضعيف الذي مات المسيح لأجله» (١كو ٨:١١).

أي أنكَ بِهذه الانفرادية تُعطِّل مفعول موت المسيح. فالأخ الضعيف الذي مات المسيح من أجله تقول عنه: ''أنا ما لي به''! وهذا الأخ الضعيف مُثَمَّن بِثمن دم ابن الله، فثمنه غالٍ جدًا. فإذا استهنتَ به، فقد استهنتَ بدم المسيح.

لا يُمكن بعد أن نسمع هذا الكلام أن تبقى فينا أية رواسب من الانفرادية. فالمبدأ القائل إنه طالَما أن ضميري سليم، وأنا أعمل ما أراه صحيحًا، فليس لآخر شيءٌ عندي، هذا المبدأ ليس صحيحًا.

الخطأ في هذا المبدأ هو خطأ في صميم إحساس الإنسان بانتمائه لِجسد المسيح. هو خطأ في صميم علاقته بالمسيح. إنه ليس خطأً بسيطًا، ليس سهلاً. إنه خطأ جوهري في صميم حياتنا الروحية.

«مُعْتَنِينَ بِأُمُورٍ حَسَنَةٍ، لَيْسَ قُدَّامَ الرَّبِّ فَقَطْ، بَلْ قُدَّامَ النَّاسِ أَيْضًا» (٢كو ٨:٢١). لِماذا؟ لأن ''حياتنا هي من بعضنا البعض''. لو أعثرتَ أخاك، وظننتَ في ضميرك أن ما تعمله حسنٌ، تكون مخطئًا إلَى حياتك، لأن حياتك هي من حياة أخيك.

يقول البستان:

> **[إن عملتَ عملاً وسط الجَماعة، وعرفتَ أنه يُحدث عثرةً وشكًّا، فأسرع واستُره ولا تتوسَّع فيه ليعبُر بغير قلق]** (قول ٥١٦).

الأساس الروحي لِهذا المبدأ هو انتماؤنا إلَى جسد الرب، هو كوننا مُنتمين إلَى جسد المسيح، كأعضاء في جسد المسيح. فيستحيل مع هذه الحقيقة أن تبقى فينا أية رواسب للانفرادية.

[٢] الاستقلالية:

معناها أن الإنسان يكون مستقلاً برأيه، لا يسأل أحدًا آخر، لا يُعطي أي اعتبار لمشورة مسؤول (راكب دماغه). هذه الاستقلالية هي أيضًا عكس الانتماء إلَى جسد المسيح تَمامًا، وبالتالي تكون خارج الطريق تَمامًا.

شخص يستهين بنظام الدير. شخص يَجد لافتة مكتوب عليها: لا تعمل كذا وكذا، وإذا به أمام اللافتة نفسها يعمل عكسها.

الخطأ هنا أولاً عدم طاعة. ولا يجب أن نقول إن الطاعة لله وحده.

ولكن الخطأ أعمق من عدم الطاعة، الخطأ هو في صميم إحساسه بانتمائه للجسد الواحد، لأن الجَماعة كلها هي جسد واحد، والمسيح هو رأسها.

هذا هو مرض الاستقلالية.

قول لأنبا أنطونيوس:

[لا تقم بعملٍ من الأعمال إلاَّ بعد استشارة أب الدير] (بستان الرهبان، ٧).

لِماذا لا يريد الدير أن يقوم الرهبان بأعمال خاصَّة (اختراعات)؟ هل هذا بقصد كبت الرهبان؟ إطلاقًا. إنه يريد أن يستأصل منهم مبدأ الاستقلالية، حتى نَحسَّ كلنا أننا جَماعة واحدة وأعضاء في جسد واحد، ولا يوجد واحد يستقل برأيه.

نفترَض أن عندك نشاطًا، وقدرةً على العمل. إذًا، اِهتم بأعمال الدير التي أنتَ مُكلَّف بها، لأنك بذلك تُمارس عضويتك في الجسد الواحد، وامتنعْ عن الأعمال التي تتَراءى لكَ أنها حسنة وأنتَ غير مُكلَّف بها، لأن مثل هذه الأعمال تُنَمِّي فيك

مبدأ الاستقلالية وتُضعف فيك إحساسك بانتمائك للجسد الواحد والجَماعة الواحدة.

لو أردنا أن نتصوَّر الحضيض في مستوى الحياة الرهبانية المجمعية، كيف يكون؟ يكون حينما يريد كل واحد أن يعمل شيئًا على مزاجه، ولا يريد أحد أن يقوم بأعمال الدير، فيَرفض الراهب أن يعمل إلاَّ في الأشغال التي يخترعها على مزاجه هو. هذا هو الحضيض أو بداية الخراب في الدير.

هذا الكلام نَجد وصفه عند أنبا مقار عندما سألوه: ” ما هي العلامة لخراب شيهيت ؟“ فأجاب:

> [إذا نظرتم القلالي تُبنَى في الوادي، ورأيتم الأشجار تُزرع بالقرب من الأبواب، ورأيتم الصبيان قد كثروا، فخذوا جلودكم واهربوا]

(فضائل أنبا مقار: ١٥؛ Amélineau, p. 135)

أنبا مقار فاهم ما يقوله، ويعلم أنه عندما يستقلّ كل راهب، يموت بالتالي الإحساس بالجسد الواحد وسط الجَماعة، وبالتالي تتفكَّك الجماعة وتنحل، وبالتالي لا يبقى إلا الهرب، لأنه لا يُمكن أن يعيش عضو وحده سليم في وسط منحل.

كان الرهبان في عهد أنبا مقار يعملون أعمالاً جَماعية، فقد كانوا مثلاً ينزلون إلَى الحصاد معًا، أو يشتركون معًا في حفر بئر أو في بناء قلاية، كما نقرأ في عدة أقوال من البستان، فالخطر الذي يشير إليه أنبا مقار ليس في مجرد العمل، ليس في أن يزرع الراهب أشجارًا لحساب الجماعة، بل في أن يزرع الراهب شجرة على باب قلايته، ليستمتع بها هو نفسه، وليس كعمل هو مكلَّف به لحساب الجماعة. فالخطر

هنا هو في الاستقلالية، في ضياع روح الجسد الواحد.

فإذا وصلت الجماعة إلى ذلك، ينطبق عليها المكتوب في سفر القضاة: «في تلك الأيام لم يكن ملك في إسرائيل. كان كل واحد يعمل ما يَحسن في عينيه» (قض١٧: ٦).

قول للقديس باسيليوس الكبير :

[إنه أمرٌ في منتهى العجب، فقد رأيتُ في كل المجالات العالَمية وكل المهن والمهارات أنه يوجد توافق إلَى حدٍّ كبير بين الذين يُمارسونها مثل الأطباء ...إلخ، بينما في كنيسة الله وحدها التي مات المسيح من أجلها، وسكب عليها الروح القدس بغنى، حيث وجدتُ تضاربًا كبيرًا في الآراء والأفكار، وبقيتُ حيرانًا، ووجدتُ أنه ينطبق علينا قول سفر القضاة: «في ذلك الزمان كان كل واحد يعمل ما يَحسن في عينيه». وأخذتُ أبحث عن هذا الأمر الذي كاد يُفقدني الإيمان، فوجدتُ أن سفر القضاة يعطي السبب. سبب هذه المصيبة التي نَحن واقعون فيها: «لأنه لَم يكن ملكٌ في إسرائيل». وبعد قليل استنار عقلي وتفطَّنتُ أن هذا هو السبب في كل المصائب التي نَحن واقعون فيها، فإننا لَم نستحسن أن نُبقِي الله في معرفتنا، وأن يملك علينا جميعًا، فصار كل واحدٍ مِنَّا يعمل ما يتَراءى في عينيه. وهذا هو سبب المصائب التي نَحن واقعون فيها][13].

13. St. Basil, *On the Judgement of God*, The Fathers of the Church, 9, p. 33-43.

هذا هو طريق الحياة، وهذا هو طريق الموت:

طريق الحياة هو انتماؤنا لجِسد المسيح: «الذي يثبت في وأنا فيه، هذا يأتي بِثمرٍ كثير» (يو١٥: ٥).

وطريق الموت هو الانفرادية واستقلال كل عضو عن الجسد: «إن كان أحد لا يثبت في يُطرَح خارجًا كالغصن، فيجفُّ ويَجمعونه ويطرحونه في النار فيحترق» (يو١٥: ٦).

لا يوجد وسط.

طريق الحياة هو نُموُّ إحساسنا بِانتمائنا لجِسد المسيح الواحد.

وطريق الموت هو تضاؤل هذا الإحساس وتَملُّك روح الاستقلالية والانفرادية على كل فرد.

الراهب ومفهوم الطاعة[١٤]

⊕ مثالنا الأول في الطاعة هو المسيح:

❖ **«فليكن فيكم هذا الفكر الذي في المسيح يسوع أيضًا الذي ... وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب» (في٢:٥و٨).**

❖ **«الذي في أيام جسده إذ قدَّم بصراخ شديد ودموع طلبات وتضرعات للقادر أن يخلصه من الموت، وسُمع له من أجل تقواه، مع كونه ابنًا تعلّم الطاعة مما تألَّم به» (عب٥:٧و٨).**

كيف يُقال عن المسيح إنه "تعلَّم" الطاعة؟ من جهة لاهوته، أي بصفته كلمة الله الأزلي هو متوافق مع الآب توافقًا مطلقًا لا يمكن أن يتغيَّر أو يزداد. ولكن من جهة البشرية التي اتحد بها وصار يمثِّلها أمام الآب، أي من جهتنا نحن، تعلَّم الطاعة بالنيابة عن البشرية كلها، لكي نتعلَّمها نحن فيه.

❖ **«لأنه كما بمعصية الإنسان الواحد (آدم) جُعل الكثيرون خطاة، هكذا بإطاعة الواحد (يسوع) سيُجعل الكثيرون أبرارًا» (رو٥:١٩).**

إن سقوط جنسنا كان أصلاً بسبب عدم الطاعة. لذلك وجب على المسيح لكي يخلصنا أن يمارس الطاعة إلى المنتهى بالنيابة عنا: «أطاع حتى الموت موت الصليب!» فعمل المسيح الخلاصي يتلخَّص في طاعته للآب إلى المنتهى. والصليب أساسًا هو عمل طاعة.

---

(١٤) حديث بتاريخ: ٢٠٠١/١٠/٤، ثم بتاريخ ٢٠٠٤/٨/٢٠، لم يُسجّل

⊕ وفي الحقيقة إن طاعة المسيح كمثل كل أعماله الخلاصية لم تكن ''بدلاً عنَّا'' (وكأنه يعفينا من الطاعة) ولكنها كانت ''من أجلنا'' أي ليفتح لنا الطريق لكي نتبع خطواته، أي أنه أطاع لكي يفتح لنا طريق الطاعة: «**تاركًا لنا مثالاً لكي تتبعوا خطواته**» (١بط٢:٢١).

لذلك كان المسيح يتعمَّد أن يُظهر لنا في كل مناسبة أنه مطيع للآب في كل شيء:

«لأني في كل حين أفعل ما يرضيه» (يو٨:٢٩).

«إني أحب أبي وكما أوصاني أبي هكذا أفعل» (يو١٤:٣١).

«لهذا يحبني الآب لأني أضع نفسي لآخذها أيضًا... هذه الوصية قبلتها من أبي» (يو١٠:١٧و١٨).

«لأني لم أتكلم من نفسي لكن الآب الذي أرسلني هو أعطاني وصيةً ماذا أقول وبماذا أتكلم» (يو١٢:٤٩).

«إن حفظتم وصاياي تثبتون في محبتي كما أني أنا قد حفظت وصايا أبي وأثبت في محبته» (يو١٥:١٠).

يلاحظ في هذه الآية الأخيرة شدة الارتباط بين المحبة وحفظ الوصية، وهذا شيء متكرر بكثرة في إنجيل يوحنا ورسائله:

«إن كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي» (يو١٤:١٥).

«الذي عنده وصاياي ويحفظها فهو الذي يحبني» (يو١٤:٢١).

«هذه هي محبة الله أن نحفظ وصاياه» (١يو٥:٣).

فبدون حفظ الوصية تكون المحبة وهمية، وحفظ الوصية هو الدليل على أن المحبة حقيقية وصادقة. ومثالنا الأول في ذلك هو المسيح في محبته للآب وحفظه لوصاياه: «كما أني أنا قد حفظت وصايا أبي وأثبت في محبته».

والقديس إغناطيوس الأنطاكي كلَّما يوصي المؤمنين بأن يطيعوا مُدبِّريهم يضع أمامهم كمثال أعلى للطاعة المسيح في طاعته لأبيه:

+ [**كونوا خاضعين للأسقف وبعضكم لبعض كما كان المسيح خاضعًا للآب بحسب الجسد**] (الرسالة إلى أهل مغنسيا ١٣)

+ [**كما أن الرب لم يفعل شيئًا لا بنفسه ولا برسله في معزل عن الآب المتحد به، هكذا أنتم أيضًا لا تفعلوا شيئًا في معزل عن الأسقف والقسوس**] (مغنسيا ٧)

+ [**اهربوا من الانشقاقات لأنها رأس جميع الشرور. اتبعوا الأسقف كما أن يسوع المسيح يتبع الآب**] (سميرنا ٧: ٢)

لذلك فالذي يُكمِّل الطاعة تكون له دالة كبيرة لدى المسيح، لأنه يكون قد دخل في نفس مشاعر المسيح في طاعته للآب (يكون معه على نفس الموجة):

[**إن الطاعةَ فخرُ الراهبِ، فمن اقتناها يسمعُ اللهُ صوتَه، ويقفُ أمامَ المصلوبِ ربِّ المجدِ بدالةٍ، لأن إلهَنا من أجلِ طاعتهِ لأبيه صُلب لأجلنا**] (البستان، قول ٨٥٩)

هذا القول جدير بأن يتخذه الراهب شعارًا له، وقد رأيتُ فعلاً بعض الرهبان يكتبونه في قلاليهم تحت صورة الصليب، فيستمدون منه عونًا في الظروف الصعبة.

والطاعة تزداد قيمتها على قدر ما تكون في موضوع لا يهواه الإنسان أصلاً، لأنه أي أجر لمن يطيع أمرًا موافقًا لما يهواه؟ ولكن إن أطاع فيما لا يهواه، يكون فعلاً قد تشبَّه بالمسيح الذي جاهد جهادًا مريرًا في جثسيماني ليرفض مشيئته الذاتية وينحاز لمشيئة الآب. حينئذ يقف الإنسان "**أمام المصلوب بدالة**".

> [أخبر أبٌ أنه أبصرَ أربع مراتب مرتفعةً في السماءِ، الأولى: مريضٌ شاكرٌ لله. والثانية: صحيحٌ يضيفُ الغرباء ويُنيِّح الضعفاء. والثالثة: منفردٌ في البريةِ مجتهدٌ. والرابعة: تلميذٌ ملازمٌ لطاعةِ أبيه من أجلِ الله. ووجد أن مرتبةَ التلميذ أسمى من المراتب الثلاث الأخرى، وزعم أنه سأل الذي أراه ذلك قائلاً: «كيف صار هذا هكذا وهو أصغرهم، فأصبح أكبرهم مرتبةً»؟ فقال: «إن كلَّ واحدٍ منهم يعمل الخيرَ بهواه، وأما هذا فقد قطع هواه لله، وأطاع معلمه، والطاعة لأجلِ اللهِ أفضل الفضائل] (بستان الرهبان، قول ٦٦٦)

ولكن لماذا الطاعة لأجل الله هي أفضل الفضائل؟

⊕ لأنها تمثُّل بالمسيح. لأن ذلك الإنسان المطيع يدخل في شركة مع المسيح المطيع في صميم عمله الخلاصي، يصير متوافقًا معه روحيًا، "على نفس الموجة معه".

ويلاحظ في القول الأخير عبارة «تلميذٌ ملازمٌ لطاعةِ أبيه من أجلِ الله». فالطاعة متصلة أشد الاتصال بروح التبني، كما يشهد بولس الرسول عن تلميذه

تيموثاوس: «**وأمَّا اختباره فأنتم تعرفون أنه كولد مع أب خدم معي لأجل الإنجيل**» (في٢: ٢٢). وروح التبني هذا هو أكثر ما يفتقر إليه العالم المعاصر على كافة المستويات. أكبر أزمة يُعاني منها العالم المعاصر هي غياب روح التبني، وعلى العكس انتشار روح التمرُّد على كافة المستويات. تمرُّد الأبناء على الآباء[١٥]، تمرُّد على كل القيم التقليدية، تمرُّد على تقليد الكنيسة، بل وعلى الإنجيل وعلى الله نفسه! والراهب الذي يمارس الطاعة بروح التبني لآبائه، في شركة مع المسيح، ربما لا يدري به أحد، ولكنه في الحقيقة يقوم بعمل من أخطر ما يمكن ضد العدو، لأنه في الخفاء وباتحاده بالمسيح يكسر شوكة العدو سرًا، يكسر شوكة روح التمرُّد المتفشِّي في العالم. لذلك قيل إن "الطاعة لأجل الله هي أفضل الفضائل".

رهبنة بدون طاعة تكون فاقدة لسر قوتها وهو الشركة مع المسيح في أخطر ما عمله لأجلنا وهو طاعته للآب «أطاع حتى الموت موت الصليب».

رهبنة بدون طاعة تكون فاقدة لأهم مكوناتها، وكأنك تقول خرسانة بدون أسمنت، أو زراعة بدون ماء.

⊕ الطاعة تؤمِّن الراهب ضد خداعات العدو

> قال شيخ: [**لستُ أعرفُ للراهبِ سقطةً إلا إذا صنع هواه، فإذا نظرتَ راهبًا قد سقط، فاعلم أنه وقع بهواه، لأنه فعل برأي نفسِه**]

(البستان، قول ١٠٣٤).

---

(١٥) وقد شهد المسيح وعرّفنا بأنه في الأيام الأخيرة سيصل تمرُّد الأبناء على الآباء إلى حد أن «يقوم الأولاد على والديهم ويقتلونهم» (مت١٠: ٢١). هذا هو الحد الأقصى لغياب روح التبني وتفشِّي روح التمرُّد!

كما قال أيضًا: [**فإن رآه الشيطان متحفظًا يستشير في أمورِه كلِّها، ويطيع لِمَا يُشار به عليه، فلا يقوى عليه في شيءٍ بالجملةِ**] (المرجع السابق)

لذلك لا يمل أنبا أنطونيوس من توصية أولاده بأن يستشيروا مرشديهم في كل شيء:

قال أنبا أنطونيوس: [**ينبغي للراهبِ الشابِّ أن يستشيرَ الشيوخَ قبلَ كلِّ خُطوةٍ يخطوها في قلايتِهِ وقبل كلِّ نقطةِ ماءٍ يشربها، لأني رأيتُ رهبانًا كثيرين بعد أن تعبوا كثيرًا وقعوا في دهشةِ عقلٍ لأنهم توكَّلوا على معرفتِهم فقط. إذ لم يُصغوا إلى الوصيةِ القائلةِ: «اسأل أباك فيُخبرك ومشايخك فيقولون لك»** (تث٣٢: ٧)]

(بستان الرهبان، قول ٣١)

نلاحظ هنا أسلوب أنبا أنطونيوس في تثبيت المبدأ الذي يقوله في أذهان سامعيه وذلك بأن يُبلوره في آية من الكتاب القدس لا تُنسى مدى الحياة: «اسأل أباك فيخبرك ومشايخك فيقولون لك». وفي القول التالي يستعمل آيتين غير هذه لتثبيت نفس المبدأ:

[**والكتابُ يقولُ: «إن الذين ليس لهم مدبِّرٌ يسقطون مثلَ الورقِ من الشجرِ»** (أم١١: ١٤ في الترجمة السبعينية). **وأيضًا يقولُ الكتابُ: ك«مَثلِ مدينةٍ غيرِ محصَّنةٍ وكلُّ مَن أرادَ دَخلها وأخذَ كنوزَها، كذلك الإنسانُ الذي يعملُ أمورَه بغيرِ مشورةٍ»** (أم٢٥: ٢٨ في الترجمة السبعينية)] (بستان الرهبان، قول ٣٢)

قال أحدُ الشيوخِ: **[إذا كانت الصناعات التي نبصرها بعيوننا ونسمعها بآذاننا ونعملها بأيدينا، لا نقدر أن نمارسها بذواتنا إن لم نتعلمها أولاً من معلميها، أفليست إذن جهالةً وحماقةً ممن يريد أن يمارسَ الصناعةَ الروحانية غيرَ المرئية بغير معلمٍ؟ علمًا بأنها أكثر خفاءً من جميعِ الصنائعِ، والغلط فيها أعظمُ خسارة من كلِّ ما عداها]**

(بستان الرهبان، قول ٦٢٣)

والبستان يبلور هذا المبدأ في صيغة مختصرة:

[وبغير طاعةٍ لم ينجح أحدٌ] (قول ٥٨٦).

لذلك أيضًا يقول أنبا أنطونيوس:

[لا تَقُم بعملٍ من الأعمالِ إلا بعد استشارةِ أبِ الديرِ] (قول ٧).

لماذا؟ لسببين:

- السبب الأول: لكي تنجو من خداعات العدو، لأنه «توجد طريق تظهر للإنسان مستقيمة وعاقبتها طرق الموت» (أم١٤: ١٢). فمن الأساليب المألوفة لدى العدو أن «يُغيِّر شكله إلى شبه ملاك نور» (٢كو١١: ١٤) ويُخفي سمُّهَ تحت غلاف يبدو خيِّرًا وصالحًا. هذا ما يقوله أنبا أنطونيوس: **[اعلموا أن العدو يُضلُّ المؤمنين بحجة الخير]** (رسالة ١١: ١). ولكن خداعات العدو لا تقوى على الذي يستشير ويطيع لما يُشار إليه.

- والسبب الثاني: لكي تزداد قيمة عملك ويرتقي من مجرد عمل ساذج تعمله أنت، إلى مستوى المشاركة في طاعة المسيح للآب، فيكون لك دالة كبيرة لدى المسيح ولدى الآب بسبب هذه المشابهة والمشاركة.

اعتراضات على مبدأ الطاعة:

الاعتراض الأول: الطاعة لله فقط وليست للناس

⊕ صحيح أن الطاعة لله وحده، ولكننا نحن نكون طائعين لله حينما نطيع الذين أقامهم الله علينا ليُعرِّفونا مشيئته. لقد قال المسيح لرسله: «**الذي يسمع منكم يسمع مني. والذي يُرذلكم يُرذلني. والذي يُرذلني يُرذل الذي أرسلني**» (لو ١٠: ١٦). وبولس الرسول يقول: «أطيعوا مرشديكم واخضعوا لأنهم يسهرون لأجل نفوسكم كأنهم سوف يعطون حسابًا، لكي يفعلوا ذلك بفرح لا آنين لأن هذا غير نافع لكم» (عب١٣: ١٧).

ويمكننا أن نطبِّق على مبدأ الطاعة ما يقوله القديس يوحنا عن المحبة: «من لا يحب أخاه الذي أبصره كيف يقدر أن يحب الله الذي لم يبصره؟!» (١يو٤: ٢٠). وهكذا من لا يطيع أباه الذي يبصره كيف يدّعي أنه يطيع الله الذي لم يبصره؟

ويقول أنبا أنطونيوس:

> **[وأنا المسكين أبوكم أُعرِّفكم، يا أحبائي، أنني قد تعبتُ في الجبال والبراري وطلبتُ في الليل والنهار أن يكشف لي الرب إرادته، فلم يُظهِر لي شيئًا منها، حتى سمعتُ لآبائي في كل شيء وقبلتُ معرفتها (أي**

معرفة إرادة الله) منهم. لأن كل مَن يسمع مِن آبائه فللرب يسمع، ومَن يسمع مِن الرب فهو يسمع لآبائه. ومَن لا يسمع لآبائه فهو لا يسمع من الرب. فيا أحبائي بالرب، اسمعوا لأبيكم في ما كتَبتُه إليكم، لكى تحلَّ عليكم بركته، وتجدوا راحة ونعمة وقوة ومجدًا ويسهِّل الرب جميع طرقكم]

(رسالة ٢٠: ٢٨)

[فيا أولادي الأحباء المباركين، افهموا ما قد قلته لكم؛ فإنكم لا تقدرون أن تتقدموا وتنموا بالأكثر، ولا تكمُلوا ولا تعرفوا أن تميِّزوا بين الخير والشر، إذا لم تسمعوا تعليم آبائكم الكاملين. لأن آباءنا هكذا صنعوا باستماعهم لآبائهم وتعلُّمِهم منهم، تقدَّموا ونموا وصاروا معلِّمين، كما هو مكتوب في حكمة يشوع بن سيراخ : «تعلَّموا من آبائكم، لأنهم قد تعلموا من آبائهم» (ابن سيراخ٨: ٩)] (رسالة ١٨: ٧).

ومع ذلك فإن أنبا أنطونيوس لا ينادي بالطاعة العمياء بل بالطاعة المستنيرة المتوافقة مع وصايا الله:

[إن أُمِرتَ بشيءٍ يوافقُ مشيئةَ اللهِ فاحفظه. وإن أُمِرتَ بما يخالفُ الوصايا فقل إن الطاعةَ للهِ أولى من الطاعةِ للناسِ] (البستان، قول ١٧).

الاعتراض الثاني: كيف نوفِّق بين مبدأ الطاعة وبين «الحرية التي حررنا بها المسيح» ؟

يلزم أولاً أن نتفهم الحرية المسيحية فهمًا صحيحًا:

الحرية الحقيقية ليست هي أن أعمل أهوية قلبي، بل على عكس ذلك هي أن أتحرر من أهوية قلبي الرديئة: «كل من يعمل الخطيئة هو عبد للخطيئة... فإن حرركم الابن فبالحقيقة تكونون أحرارًا» (يو٨: ٣٤-٣٦). هذه هي «الحرية التي قد حررنا المسيح بها» (غل٥: ١). ليست هي أن أفعل كل ما أريد سواء كان خيرًا أم شرًا، هذه لا تُدعى حرية بل إباحية؛ ومن بداية المسيحية قد ندد الرسل بهذا المفهوم المنحرف للحرية:

«كأحرار وليس كالذين الحرية عندهم سترة للشر، بل كعبيد الله» (١بط٢: ١٦).

«فإنكم إنما دعيتم للحرية أيها الأخوة، غير أنه لا تُصيِّروا الحرية فرصةً للجسد» (غل٥: ١٣).

«واعدين إياهم بالحرية وهم أنفسهم عبيد الفساد. لأن ما انغلب منه أحد فهو له مستعبد» (٢بط٢: ١٩). هنا يُردِّد بطرس الرسول ما قاله الرب نفسه: «كل من يعمل الخطيئة هو عبد للخطيئة» (يو٨: ٣٤).

وأما الحرية الحقيقية فهي أن نتحرر من شهواتنا الرديئة التي تُقيِّدنا، أن نتحرر من عبودية الخطيئة وعبودية الشيطان حتى نكون أحرارًا لعمل مشيئة الله، نكون أحرارًا في تقديم نفوسنا بحرية لله، كما يقول القداس الغريغوري:

[أُقدِّم لك يا سيدي مشورات حريتي وأكتب أعمالي تبعًا لأقوالك]

هنا تتقابل الحرية الحقيقية مع الطاعة لله عن محبة.

اعتراض ثالث: طالما عندي الإنجيل فما الحاجة لأن أستشير الناس أو أسمع منهم؟

إن كان الشيطان تجاسر بأن جرَّب الرب نفسه بآية من الإنجيل أخفى وراءها تضليله، فكم بالحري يستطيع أن يفعل ذلك مع الراهب المبتدئ بل والمتقدِّم أيضًا! وعندنا أكثر من قصة في البستان عن هذا الأسلوب في التضليل. ولم يُسعف الراهب المسكين إلا سؤاله من هو أكبر منه:

> **[فحسده الشيطانُ ورامَ أن يرميه في الكبرياءِ، فوسوس له بأنه قد سلك في النسكِ مسلكًا لم يبلغه أحدٌ من البشرِ، وأنه يجب أن يجترحَ الآيات كي يزدادَ نشاطُه، ويرى الناسُ العجائبَ فيُمجِّدوا الله، لأن الربَ نفسَه أيضًا قال: «ليرى الناسُ أعمالَكم الحسنةَ فيُمجِّدوا أباكم الذي في السماوات»** (مت٥: ١٦). **فسأل الربَّ من أجلِ هذا الأمرِ، وإذ لم يشأ الإلهُ المتعطِّف أن يظلمَ تعبَه، فقد ألهمه فكرًا بأن الرسولَ يقول: «لسنا كفاةً أن نرى رأيًا من أنفسِنا»** (٢كو٣: ٥). **وقال: إن كان ذلك السيد لم يجد نفسَه كُفئًا لأن يرى رأيًا من ذاتِه، فكم بالحري يجب عليَّ أنا الشقي أن أقولَ هذا القول، أقومُ إذن وأمضي إلى فلان المتوحد، ومهما قال لي أقبله كمرسَلٍ لي من قبل الله ...]**

(بستان الرهبان، قول ٥١٩)

ضرورة العمل للراهب[١٦]

سؤال:

ما هي ضرورة العمل للراهب؟ هل العمل ركن أساسي في الرهبنة؟

الجواب:

الإنسان الروحي لا يعيش عالةً على غيره.

هذا المبدأ موجود في أقوال عديدة جدًا في البستان من أوَّله إلَى آخره، بل موجود في الإنجيل أيضًا:

فالقديس بولس الرسول يقول:

+ «**حاجاتي وحاجات الذين معي خدمتها هاتان اليدان**» (أع٢٠: ٣٤).

كان يعول نفسه ويعول آخرين أيضًا، يسهر طول الليل ويعمل في صناعة الخيام، ولمّا نزل عند أكيلا وبريسكلاّ وجد عندهما مجالاً لعمله لكونهما من صناعته خيَّامين من نفس مهنته.

+ «**إن كان أحد لا يريد أن يشتغلَ، فلا يأكلْ أيضًا**» (٢تس٣: ١٠).

مَنْ لا يشتغل يلزم بالضرورة ألا يُطالِب بالطعام والأكل. والبستان يحكي مؤكِّدًا هذا المبدأ في قصة الراهب الذي زار القديس أنبا سلوانس:

> **[فلمَّا رأى الإخوةَ منكبِّين على العملِ، قال للشيخِ: «لا تعملوا للطعامِ البائد أيها الأب، لأن مريمَ اختارت لها الحظَّ الصالح». فقال الشيخُ**

---

(١٦) حديث بتاريخ: ١٥/٥/٢٠٠٠ ، رقم الشريط: ٥٢

لتلميذِه: «أعطِ الأخَ مصحفاً (أي إنجيلاً) وأدخِلْه في قلايةٍ فارغةٍ»، ففعل. فلما حانت ساعةُ الأكلِ بَقِيَ الأخُ منتظراً على البابِ مترقِّباً وصولَ من يسألُه المجيءَ إلى المائدةِ. فلما لم يدْعُهُ أحدٌ، نهض وجاء إلى الشيخِ وقال له: «أما أكل الإخوةُ اليوم يا أبانا»؟ فأجابه: «نعم». فقال له: «ولماذا لم تدْعُني للأكلِ معهم»؟ فأجابه الشيخُ: «ذلك لأنك رجلٌ روحانيٌّ، لستَ في حاجةٍ إلى طعامٍ، وأما نحن فجسديون نحتاجُ إلى طعامٍ ولذلك نمارسُ الأعمالَ. أما أنت فقد اخترتَ النصيبَ الصالح، تقرأُ النهارَ كلَّه، ولا تحتاج إلى أن تأكلَ طعاماً». فلمَّا سمع الأخُ هذا الكلام خرَّ ساجداً وقال: «اغفر لي يا أبانا». فأجابه الشيخُ: «لا شكَّ أن مريمَ تحتاجُ إلى مرثا، لأن مريمَ بمرثا مُدحَت»]

(بستان الرهبان، قول رقم ٢٧٨)

+ آباؤنا الرهبان الأوائل أنبا أنطونيوس وأنبا مقاريوس كانوا يشتغلون. فإذا قرأنا آخر صفحة في رسائل القديس أنبا أنطونيوس، أي الخاتِمة، نجد ما يأتي:

[قال الإخوة إننا عندما جئنا إلى حيث كان يسكن القديس أنطونيوس (يبدو أن ذلك كان بعد أن تنيَّح بقليل) **كان إيلاريون الطوباوي مع تلاميذ القديس، فأخذونا وطافوا بنا في ذلك الموضع جَميعه بِهشاشة وبشاشة. وكان تلميذاه إسحاق وسيرابيون يروننا المكان ويقولان لنا: في هذا الموضع كان القديس يصلِّي، وفي هذا كان يتلو** (يقرأ الإنجيل بصوتٍ عالٍ)**، وفي هذا كان يجلس صامتًا، وها هنا كان يجلس يعمل الزنابيل.**

وفي هذا الموضع كان يريح جسده من التعب، وهنا كان يرقد. وهذه الكرمة وهذه الغروس هو غرسها (القديس أنطونيوس يعمل بنفسه وعمره ١٠٥ سنة). **وهذه المسكبة عملها بيده** (المسكبة هي حوض ماء). **وهو بنى هذا الحوض بتعب وكدّ ليسقي الغروس، وهذه المَحفرة كانت له زمانًا طويلاً يحفر بها. ولمّا طافوا بنا جَميع هذه المواضع قالوا لنا جاء الشيخ وسكن في هذا الموضع وكان الموضع مربَّعًا يسع إنسانًا واحدًا نائمًا** (مغارة أنبا أنطونيوس). **وفي رأس الجبل كانت هناك قلالي منحوتة من صخرة سعة كل قلاية بِهذا المقدار، وهي بباب مفرد يصعدون إليها بتعب لصعوبة الجبل وارتفاعه. وكان القديس يفر هناك إذا أراد الهدوء وألاَّ يزعجه مزعج. ولـمَّا دخلنا البستان أرونا أشجار فاكهة كثيرة وقالوا لنا إن الطوباني نصبها منذ ثلاث سنوات** (أي عندما كان عمره ١٠٢ سنة (لأنه تنيَّح وعمره ١٠٥ سنة) كان لا يزال يزرع ''أشجار فاكهة كثيرة'')]

(مخطوط م ٢٣ بمكتبة الدير).

+ قصة زيارة أنبا مقار لأنبا أنطونيوس وسهرهما طول الليل يعملان في الضفائر اللازمة لعمل الزنابيل. وكان أنبا مقار يُلقي بالضفائر خارج الطاقة، وفي الصباح وجد أنبا أنطونيوس أن أنبا مقار كان قد ضفَّر مقدارًا كبيرًا من الضفائر، فقام وأمسك بيد مقاريوس وقال: إن قوة عظيمة تخرج من هاتين اليدين. (بستان الرهبان قول ٣٨).

من هذه القصة يتبيَّن أن الآباء كانوا يعملون ويشتغلون طول الليل. والمبدأ الرهباني العام هو أنه يجب أن نعمل لكي نعول أنفسنا وإخوتنا المساكين.

العطاء للمساكين:

+ من تعاليم أنبا إشعياء الإسقيطي للمبتدئين:

[اِعمل لكي ما تعطي المساكين من عرق جبينك، لأن البطالة موتٌ وهلاكٌ] (بستان الرهبان، قول ٢٢٢).

من بداية الرهبنة كان ضمن الهدف من العمل أن نُعطي المساكين من عرق جبيننا. «**مغبوط هو العطاء أكثر من الأخذ**» (أع٢٠: ٣٥). هذا هو المبدأ الرهباني الذي يسير عليه البستان كله؛ فإذا كان الدير أثناء بنائه قَبِلَ الصدقات كوضع استثنائي، فهذا كان أمرًا مؤقتًا لسد احتياجات بناء الدير، وأما الوضع الرهباني الأصيل، فهو أن الراهب ليس إنسانًا عاجزًا أو شحّاذًا حتى يأخذ صدقة، بل عليه أن يعمل ويعول نفسه، بل ويعول آخرين ويعطي المساكين.

الصدقة لا تحقّ للراهب:

قال أنبا زينون:

[الراهب الذي يأخذ صدقةً سيُعطي حسابًا عنها] (قول ٣٥٠).

فالصدقة لا تحقّ للراهب الشاب القادر على العمل وإعالة نفسه وآخرين. الصدقة تحقّ للعجزة والأرامل والمساكين والأيتام. فكون الراهب يأخذ صدقةً، لابد أن يعطي عنها حسابًا، لأنه أخذ ما لا يحق له. لذلك الذي يطلب شيئًا من العلمانيين يكون واقعًا تحت هذا الحكم. مبدأ غير صحيح أن نأخذ شيئًا من العلمانيين بحجة أننا رهبان.

عندما أحضر غنيٌ نقودًا إلَى أنبا مقار، لكي يعطيها للآباء، قال أنبا مقار للرجل الغني:

> **[نحن من نعمة الله مكتفون، وليس لنا احتياجٌ إلى هذا، لأن كلاً من الإخوة يعملُ بأكثرِ من حاجتِهِ، ارجع يا ابني بمالِك إلى العالم وأهلِهِ، لأننا نحن أناسٌ أموات].**

(بستان الرهبان، قول ٣٤٠)

ولما ألحَّ عليه جدًا، أمر أن يُضرب الناقوس ليحضر الأخوة حتى يأخذ كل من يريد نصيبًا من المال، وكان عددهم ٢٤٠٠ راهب، فعبروا جميعًا أمام المال، ولم يأخذ أحدهم شيئًا منه!!

دور العمل في حياة الراهب[١٧]

⊕ « إن كان أحدٌ لا يريد أن يشتغل فلا يأكل أيضًا»:

أولاً، من وجهة نظر المسيحية عامةً: أيُّ إنسان مسيحي لا يصح له أن يعيش عالةً على الآخرين، تبعًا للمبدأ المشهور الذي نادى به القديس بولس الرسول: «إن كان أحد لا يريد أن يشتغل، فلا يأكل أيضًا» (٢تس ٣:١٠).

وطبعًا معروفة القصة التي في البستان عن الراهب الذي ذهب لزيارة أنبا سلوانس، ورأى الإخوة منكبِّين على العمل، فقال للأب سلوانس: لا تَهتموا بالعمل المادِّي، لأن مريم اختارت النصيب الصالِح. ثُمَّ بعد ذلك حبسوه في قلاية ومعه كتاب وتركوه بلا أكل. ولما احتجّ على ذلك، قالوا له: أنتَ إنسان روحاني تقرأ طول النهار ولا تَحتاج إلَى طعام! (بستان الرهبان قول ٢٧٨)

هذا تطبيق في البستان للآية القائلة «إن كان أحد لا يريد أن يشتغل، فلا يأكل أيضًا».

نقرأ النص الذي وردت فيه هذه الآية وهو الإصحاح الثالث من الرسالة الثانية للقديس بولس الرسول إلَى أهل تسالونيكي:

«ثُمَّ نوصيكم أيها الإخوة باسم ربنا يسوع المسيح أن تتجنَّبوا كل أخٍ يسلك بلا ترتيب (حسب الأصل اليوناني: بلا طقس) وليس حسب التعليم الذي أخذه مِنَّا.

---

(١٧) حديث بتاريخ: ٢٠٠٤/١٢/١٧ ، رقم الشريط: ١١٥

إذ أنتم تعرفون كيف يَجب أن يُتمثَّل بنا، لأننا لَم نسلك بلا ترتيبٍ بينكم، ولا أكلنا خبزًا مَجانًا من أحد (لاحظ أن الذي يقول هذا الكلام هو بولس الرسول) بل كنَّا نشتغل بتعبٍ وكدٍّ ليلاً ونَهارًا لكي لا نُثقِّل على أحدٍ منكم. ليس أن لا سلطان لنا، بل لكي نُعطيكم أنفسنا قدوةً حتى تتمثَّلوا بنا. فإننا أيضًا حين كُنَّا عندكم أوصيناكم بِهذا أنه **إن كان أحد لا يريد أن يشتغل فلا يأكل أيضًا**. لأننا سَمعنا أن قومًا يسلكون بينكم بلا ترتيب لا يشتغلون شيئًا، بل هم فضوليون. فمثل هؤلاء نوصيهم ونعظهم بربنا يسوع المسيح أن يشتغلوا بِهدوء ويأكلوا خبز أنفسهم» (٢تس٣: ٦-١٢).

«**إن** كان **أحد لا يريد أن يشتغل، فلا يأكل أيضًا**». لاحظ أن الذي يقول هذا الكلام هو القديس بولس الذي كان من حقِّه أن تعوله الكنيسة. فالراعي الذي يرعى رعية من حقِّه أن تعوله الرعية: «من يرعى رعية ومن لبن الرعية لا يأكل» (١كو٩: ٧). لكن القديس بولس آثر أن لا يستخدم هذا الحق.

أما الراهب فليس من حقِّه أن يأخذ شيئًا مَجّانًا من العلمانيين!

هذا فرق كبير بين الكاهن الذي يخدم في العالَم ويرعى رعيةً وبين الراهب.

الراهب المفروض عليه أن يعول نفسه، وينطبق عليه تَمامًا المبدأ: «إن كان أحد لا يريد أن يشتغل فلا يأكل أيضًا».

الراهب والعمل عند آباء البَريَّة :

جَميع آباء الرهبنة الكبار كانوا يعملون:

+ قصة أنبا مقار عندما زار أنبا أنطونيوس: تبيِّن هذه القصة اثنين من أكبَر رؤوس الرهبنة، وقد أمضيا الليل كلَّه في العمل اليدوي، وهما يتكلَّمان بعظائم الله (بستان الرهبان، قول ٣٨).

+ نَجد في سيرة أنبا مقار أنه كثيرًا ما كان يذهب إلَى الحصاد مع الإخوة (أكثر من قصة). كان ينْزل أنبا مقار مع تلاميذه إلَى الريف ويشتَركون في الحصاد مع الحصَّادين. وعلى سبيل المثال تشهد عن ذلك القصة التي رأى فيها أنبا مقار امرأة تبكي وهي تلتقط وراء الحصَّادين (قول ٣٩).

+ أنبا إيسيذوروس، طول حياته كان يعمل بيدَيه، ولـمّا شاخ قال له تلاميذه الشبان: ''أيها الشيخ، أرحْ نفسك، لأنكَ قد شِختَ''. فماذا كان رَدّه؟! ''لو أحرقوا إيسيذوروس وذروا رماده، فلن يكون لي فضل، لأن ابن الله نَزل من أجلي إلى الأرض'' (قول ١٧٣). فمهما عملتُ، فأنا لَم أعمل شيئًا قط، بالنسبة لِما عمله المسيح من أجلي.

[قال قاسيانوس الرومي: إنه لأمر فظيع وقبيح بنا أن يتعب العلمانيون ويعملون ويعولون أولادًا ونساءً ويدفعون خراجًا وضريبة ويُقدِّمون إلَى فقراءٍ ومُحتاجين حسب طاقتهم ويَحملون إلَى بيت الله باكورات وقرابين، أمَّا نَحن فلا نقتني من أتعابنا حتى ولا حاجاتنا اللازمة لنا، بل نَحبس أيادينا داخل ثيابنا ونستجدي أتعاب غيرنا، ولا نصغي إلَى الرسول القائل: «إن هاتَيْن اليدَيْن قد خدمتا حاجاتي وحاجات الذين هم معي»، وقوله: «إن الرب قد أعطى الطوبى للمعطي أكثر من الآخذ»، وقوله أيضًا: «نحن نوصيكم باسم

ربنا يسوع المسيح أن تتجنَّبوا كل أخٍ عديم النظام لا يسلك حسب التقليد الذي سلمناه لكم» ...إلخ.

أسَمعتم كيف أن الرسول بِحكمةٍ يُزيل علل الصَّلف، ويدعو الذين لا يعملون عديمي النظام (= خارج طقس الكنيسة)، وبهذا أرانا رذيلةً كبرى شريرة، لأن البطَّال غير نافعٍ في أيِّ أمرٍ ، وهو مُهيَّأ للغضب، وغير موافق للسكوت، وعبدٌ للضجر، ومنغمسٌ في الشهوات، كما أنه متهجِّمٌ في أقواله، فاعلٌ للرذائل الأخرى كلها. أمَّا قوله «إنهم لا يسلكون بِحسب الوصية التي أخذوها منَّا»، فيقصد به أنهم متوانون ومتكبِّرون معًا ومُبطلون للوصايا. كذلك قوله «لَم نأكل منكم خبز البطالة»، فيؤنِّب به الذين لا يعملون بأنهم يأكلون خبز البطالة، أي أنهم يُعالون بغير واجبٍ (يعني أنهم يأخذون ما لا يحق لهم، وهذا نوع من اللصوصية لأنهم يأخذون ما يَحق لليتامى والأرامل، بينما هم في ملء الصحة، وقادرون على العمل، وليس لهم عذر في أن يعيشوا عالةً على الآخرين).

لذلك كان الآباء بإسقيط مصر لا يسمحون للرهبان، لاسيما الشبان منهم، بأن يتفرَّغوا من عملٍ لا صيفًا ولا شتاءً حتى ولو لَحظة من الزمان، لأن الذي يُمارس العمل يتخلَّص من الضجر ويتحصَّل على ما يقتات به ويُسعف منه المُحتاجين] (بستان الرهبان، ٣٠٢).

هذه الأقوال تبيِّن أهمية العمل في التقليد الرهباني. وأنه غريبٌ جدًا عن هذا التقليد أن الراهب يأخذ صدقة. هذا مبدأ غريب على الرهبنة الأولَى. ويقول البستان: [إن الراهب الذي يأخذ صدقة سوف يُعطي حسابًا عنها] (قول ٣٥٠).

فائدة العمل بالنسبة للراهب

بذل الذات حبًّا في المسيح:

«مغبوطٌ هو العطاء أكثر من الأخذ»

العمل فرصة للبذل والعطاء، وبذل الذات يكون حبًا في المسيح. فالراهب إنسان يُتعِب نفسه في العمل مجانًا ولا يأخذ أجرًا. لو كان في العالَم لكان يُتعِب نفسه لكي يأخذ أجرًا ماديًّا. أمَّا كون الراهب يُتعِب نفسه في العمل دون أن يأخذ أجرًا، فهو يأخذ بدل أجره ازدياد حبه للمسيح.

وهنا خطورة الذي يقول: أنا سأستقيل من هذا العمل. شيء غريب جدًا عن الرهبنة. مُمكن أن يحدث هذا في العالَم، أن تذهب لرئيسك في العمل وتُقدِّم استقالتك، وبالتالي تُحرَم من أجرك وأنتَ حرّ في ذلك.

ولكن إنسان راهب جاء إلى الدير من أجل حبه في المسيح ويعمل حبًا في المسيح، ثُم بعد ذلك يقول: أنا سأستقيل! معناها: أنا مستغني عن الأجر الذي آخذه. ولكن ما الأجر الذي تأخذه؟ إنه مَحبة المسيح. يعني كأنه يقول: أنا مستغني عن مَحبة المسيح! أنا لستُ مُحتاجًا لَها! فهذه مقابل تلك.

فأول فائدة للعمل هي بذل الذات حبًا في المسيح، وممارسة المبدأ الذي قاله الرب: «مغبوط هو العطاء أكثر من الأخذ» (اع٢٠: ٣٥).

أما الإنسان الذي يَحيا عالةً على المُجتمع، فهو عائش على مبدأ الأخذ بدون عطاء، بينما المفروض هو العكس، أي أن الراهب ليس فقط يكتفي بإعالة ذاته

ولكن يُنتج أكثر مِمَّا يأخذ لكي يعول الـمُحتاجين. يعني إنتاجك يكون أكثر من استهلاكك، والزيادة تُعطَى للـمُحتاجين. وهذا ما يصنعه الدير حاليًا في مشروع إعالة الـمُحتاجين[١٨].

فالفائض من عملك يذهب إلَى الـمُحتاجين بِحسب ما يُوصي به البستان. لذلك من الحكمة أن يكون كل راهب في قطاعه مقتصداً بحيث يكون إنتاجه أكبَر من استهلاكه.

هذه ليست ألفاظًا علمانية أو عصرية بِحسب منطق الاقتصاد، ولكن هي هي قول المسيح: «مغبوطٌ هو العطاء أكثَر من الأخذ».

إنتاجك هو العطاء، أخذك هو استهلاك.

راهب ليس عنده فكرة عن هذا المبدأ، تَجده يطلب طلبات ليست لَها نهاية للعمل، والعجيب أنك تَجد أن الشيء الذي ينتجه هذا القطاع لا يأتي أبدًا بالمصاريف التي يطلبها. بالطبع هذا العمل ليس له أي هدف لا روحي ولا مادِّي، القائم به لا يسعف منه الـمُحتاجين ولا يُقِيت نفسه، ولكن بالعكس يُحمِّل الدير تكلفة، ويستهلك ما ينتجه إخوته الذين في قطاعات أخرى، ويمنع استفادة المحتاجين. وباختصار يعيش بِمبدأ الأخذ أكثَر من العطاء. وهذا بالطبع غير مغبوط حسب قول المسيح. ولكن المغبوط هو الذي يَختصر على قدر الإمكان من طلباته، حتى يكون عطاؤه أكثَر من أخذه، وإنتاجه أكثَر من استهلاكه.

---

(١٨) هذه الكلمة قيلت سنة ٢٠٠٤، حيث كان الدير بالفعل يُساهم في مشروع الملاك ميخائيل الذي أسسه الأب متى المسكين ليجعل الراهب يعمل بفرح ونشاط، عالماً أن الفائض من عمله يذهب لإخوة الرب.

الاحتكاكات في العمل:

⊕ أكثَر شيء يَجعل الراهب يكره العمل هو الاحتكاكات في العمل! ولكن هذا الأمر بالذات هو أكثَر الأمور التي تُفيد الراهب!

الاحتكاكات في العمل هي الفرصة الذهبية التي تكشف عيوبك وتكشف ذاتيتك. آه من راهب عندما يَجد احتكاكات في العمل يستعفي من العمل ويقول: أنا عاوز عمل بلا احتكاكات، لأني أنا لا أستحمل أن أحدًا يوجِّه إلَيَّ كلامًا مُتعِبًا، وأنا أحب أن أكون هادئًا في شغلي وحدي. هذا الراهب ستظلّ عيوبه موجودة فيه، ولا يكتشفها، مُغلَق عليها، لا هو يراها ولا الآخرون. ويُمكن جدًا أن يعتبِروه قديسًا وهو يعتبِر نفسه قديسًا. ويُحاول بكل الطرق أن يتفادَى كل مَجال للاحتكاك. لكن عيوبه موجودة فيه، يشيخ ويَجد عيوبه كما هي لَم تتحرَّك ولَم تتزحزح، لِماذا؟ لأنه يكتم عليها. يُخفيها عن الآخرين وعن نفسه. لذلك لا تنكشف ولا تنفضح ولا تُعرَف، وبالتالي لا تنصلح.

في حين أن الراهب الذي يعمل، وينعم عليه الله بِمجال عمل فيه احتكاكات، فيه انتهار، وشخص ينتهره ويؤنِّبه بشدَّة. هذا طوباه، طوبى لِمَنْ يَجد مَنْ ينتهره في مَجال العمل.

أولاً: سيكتشف عيوبه.

ثانيًا: سيأخذ ترياقًا ضد المديح والكبرياء، وضد أن يظن نفسه قديسًا.

أخطر مَجال لا أتَمنَّى لك أن تكون موجودًا فيه هو مَجال التعامل مع العلمانيين.

تكون مثلاً مُكلَّف بأن تَخدم العلمانيين في المضيفة، ويطلب منك الضيوف أن تصلِّي من أجلهم، وتضع يدك عليهم، وتسمع كلام العلمانيين: إن صلواتكم (صلوات الرهبان!) هي التي نَحيا بواسطتها... قليلاً قليلاً ودون أن تدري ستنخدع في نفسك وتظن أنك صرتَ قديسًا وأن صلواتك تشفي الناس، وأية كلمة تقولُها تَجد الناس تُنصت إليها بانتباه، فيسمع الناس كلام النعمة الخارج من فمك!

في حين أنك لو عملتَ مع الأب فلان أو الأب علان، يكون كلامك خايب!

أيهما أنفع للراهب؟

ولكن أولاً: أيهما أريَح لذاتية الراهب؟ المكان الذي ترتاح فيه الذات جدًا هو المكان الذي تسمع فيه المديح، والذي ينصت فيه الناس لكلامك ويقولون إن عندك الحكمة الروحية.

كثيرًا جدًا ما حذَّرنا أبونا الروحي من هذا الخطر، فكان غلق الدير وغلق البوابة وتقليل عدد الضيوف. لِماذا؟ لأنه يعلم أن الضيوف مَجال خسارة للرهبان، مَجال ضلال للرهبان. ليس لأن العلمانيين أردياء، حاشا، بل بالعكس، إنهم في أحيان كثيرة أفضل منا، ولكن تكريمهم لنا هو الذي يُعتبر سُمًّا لنا[١٩].

والترياق المُضاد لِهذا السُمّ هو أن ينعم الله عليك بإنسان ينتهرك في العمل أو

---

(١٩) يقول في ذلك أنبا مقار: [ولسنا نعني بهذا أن العَلمانيين أنجاسٌ، معاذ الله، لكنهم يسلكون في الخلاصِ طريقاً آخر غير طريقِنا. فهروبُنا هو هروبٌ من مخالطتهم. **فلنطلب سبَّهم فينا أكثر من مديحهم لنا، لأن سبَّهم لن يفقدنا شيئاً أما مديحُهم فهو سببُ عقوبتنا**] (بستان الرهبان، قول ٣١٨)

راهب يشدّ عليك قليلاً أو شخص يُوبِّخك أمام العمَّال، مع أن المفروض أن يَحتَرمك أمام العمَّال لأنك أنتَ الذي تُشغِّلهم.

هذه كلها ترياق نافع لك ولنفسيتك، وعندما تستوعبها وعندما تبلعها، وتشكر الله عليها، فهي تداوي كل أمراضك الذاتية.

الانحرافات التي يُمكن أن تَحدث في العمل

⊕ [١] فقدان الهدف :

العمل يأخذ أهمية كبرى في حياتِك، بِحيثُ أنه يُنسيكَ حياتك الروحية أو يُنسيك القصد الأساسي الذي من أجله أنتَ تعمل. العمل يَجور على الصلاة، وتقول: طالَما أنا أعمل كثيرًا، أنا تعبان، وتذهب للنوم دون صلاة. وفي الصباح تقول: أنا تعبان واليوم يوجَد عمل كثير، فلا داعي للنِزول إلَى الكنيسة.

هنا، العمل أفقدك الهدف من حياتك الروحية. هذه ضلالة كبيرة، نتيجتها فقدان الهدف.

لكن، إذا كانت نفسك متيقِّظة أثناء العمل، فكل خطوة تعملها تكون حبًّا في المسيح.

في كل حياتك يَجب أن يكون واضحًا جدًا أنك تعمل كل شيء من أجل مَحبة المسيح. فالعمل ليس هدفًا من أجل ذاته، ولكن العمل وسيلة فيها تُقدِّم حبَّك للمسيح، وبالتالي لا يصح إطلاقًا أن العمل يَجور على حياة العبادة. ولا يصح ونَحن

واقفون في الصلاة في التسبحة أننا نكون شاردين في العمل. على الفور وَقِّفْ هذا السرحان وارجع ثانيةً للمسيح الذي أنتَ واقفٌ تُسبِّح له وتُقدِّم له قلبك.

قول في البستان:

[أخبَرنا يوحنا الخادم أنه سأل في شبابه شيخًا قائلاً: «كيف استطعتم أن تعملوا عمل الله بنياحٍ، مع أننا لَم نستطع أن نعمله نَحن حتى ولو بالتعب؟» فقال الشيخ: «نَحن إنَّما أمكننا ذلك لأن عمل الله كان رأس مالنا، وحاجة الجسد كانت في المرتبةِ الثانية. أمَّا أنتم، فحاجة الجسد عندكم هي رأس مالكم، وعمل الله في المرتبةِ الثانية. من أجل ذلك فإنكم تكلّون وتَخورون، وبِخصوص ذلك قال مُخلِّصنا لتلاميذه: يا قليلي الإيمان، أُطلبوا أولاً ملكوت الله وبِرَّه، وأمَّا هذه الأشياء فتُزاد لكم».

فسأل الأخ الشيخ قائلاً: «زِدْني إيضاحًا». فقال له: «ها أنتَ تسمع عنِّي أنِّي مريض، ويَجب عليكَ افتقادي. فتقول في نفسِكَ: إذا ما فرغتُ من عملي، أمضي إليه وأفتقده. ويتفق أن يعوقك عائقٌ ما، فلا تَجيء إلَيَّ بالكلِّية. وبذلك تكون قد جعلتَ عمل السيد الذي هو رأس المال وحياة النفس في المرتبة الثانية. كذلك رُبَّما يطلبُ إليكَ أخٌ آخر قائلاً: تَقدَّم، يا أخي، وساعدني في هذا الأمر. فتقول في نفسِكَ: أأترك عملي وأذهب معه؟! فتكسر وصية المسيح التي تتعلَّق بالعمل الروحي، وتعكُف على عملك الذي ينبغي أن تَجعله في المرتبةِ الثانية»] (قول ٢٨٨).

هذا القول يُبيِّن أحد مخاطر العمل، وهو أن العمل قد يُنسينا القصد من حياتنا

الروحية، ويأخذ هو الأهمية الأولَى في حياتنا. في حين أن العمل هو وسيلة بها نُمارس بذل الذات حبًّا في المسيح، وليس هو هدفًا في ذاته. هو وسيلة فقط.

⊕ [٢] إرضاء الذات :

انحراف آخر يُمكن أن يُقابل الراهب في حياته العملية: أن يكون العمل فرصة لظهور الذات وأن تُمارس الذات ما يرضيها، والتحجُّج بالعمل لكي تَفرض الذات رأيَها عنوةً على الآخرين، متحجِّجة بمصلحة العمل. وتكون النتيجة خصام مع فلان وقطيعة مع علان من أجل مصلحة العمل! حتى لا يفسد العمل!

طبعًا المختفي وراء هذا هو الذات. ففي مقالة ''نصائح لرهبان جُدد'' يُبيِّن أبونا الروحي أن الذات هي إله الإنسان الطبيعي الذي من أجله يُضحِّي بكل شيء حتى بِمسيحه، وأن الذات في عداوة مع المسيح داخل القلب، وعلى قدر ما أن الإنسان ينحاز للمسيح على قدر ما هو يُميت ذاته، وعلى قدر ما أن الذات تغلب على قدر ما تَجور على حق المسيح.

فالعمل في أحيانٍ كثيرة دون أن ندري يكون فرصةً تتحجّج بها الذات، إنَّها تأخذ حجَّة بالعمل لكي تُمارس في الحقيقة عداوتَها للمسيح.

وفي ذلك تكون الذات متشبِّهةً بيهوذا الذي عند سكب طيب الناردين الخالص الكثير الثمن على قدمَي يسوع، احتجَّ قائلاً: لِماذا لَم يُبَع هذا الطيب ويُعطَى للفقراء؟! إنها حجَّة مغلوطة يُمارس بها في الحقيقة عداوته للمسيح. لأنه مغتاظ من الحب المُقدَّم للمسيح.

فالـذات تأخـذ فرصـة مـن أي شـيء مـادِّي لكـي تُمـارس في الحقيقـة عـداوتها للمسـيح. فاحـذرْ جـدًا مـن أن تكـون أثنـاء انتهـارك لعامـل مـدفوعًا بالـذات أو بالغضب الذاتي، وأن الذات هي التي تأخذ حقَّها، وهي التي تُحرِّكك.

أو إذا لَم يأخذوا برأيك تزعل، أو تُحاول بالقوة فرض رأيك.

كل هذه انحرافات في العمل.

ولكن من جهةٍ أخرى، فكل هذه فوائد العمل بالنسبة للراهب الذي يكون منتبهًا لذاته. هنا العمل يكون فرصةً له ليكتشف أن ذاته مازالت حيَّة، فيراجع نفسه ويدخل قلايته ويسجد ويقول: أنا أخطأتُ يا رب، لَم يكن من حقِّي أن أعمل هكذا وأُخطئ هكذا من أجل شيء مادِّي، لَم يكن الأمر يستدعي ذلك. ولَم يكن من حقِّي أن أنتهر العامل بِهذه الطريقة على خطأ مَحدود، وأُهينه بِمثل هذه الطريقة.

إذًا، فالعمل فرصة للتوبة عن انحرافات الذات. والانحرافات لا تَجعلنا نبطِّل العمل أو نتوقَّف عنه، لكن بالعكس، العمل يُعتَبَر فرصة ذهبية لكي نكتشف فيه انحرافات الذات.

ولكن الخطورة كل الخطورة أن الراهب يترْك ذاته تُمارس نشاطَها في العمل ولا يراجعها ولا يتوب ولا يقرع صدره ولا يُحاسب نفسه. هذا من أخطر ما يُمكن.

ولكن راهب يكتشف نفسه ويضبطها وهي متلبِّسة بالخطأ في العمل، هذا الراهب هو الذي ينتفع من العمل.

⊕ [٣] العمل الخاص :

انحراف ثالث هو الانشغال بالأعمال الذاتية: الأعمال الخاصَّة، التي أنتَ غير مُكلَّف بها. تُشغِّل العمَّال في أمرٍ ليس من المفروض أن يعملوا به! الدير أعطاك هؤلاء العمَّال لكي يزرعوا بطاطس مثلاً، ثُمَّ تأخذهم وتعمل أمرًا بعيدًا تمامًا عَمّا أنتَ مكلَّف به. طبعًا مثل هذه الأعمال تكون لذيذة جدًا على النفس أكثَر جدًا من العمل الذي أنتَ مكلَّف به.

العمل الذي أنتَ مُكلَّف به هو عمل طاعة. هذا له قيمة روحية كبيرة، لكن الذات تكون غير متلذِّذة به. أمَّا الأعمال الخاصَّة التي أنتَ غير مُكلَّف بها فهي كلها لِحساب الذات وتكون لذيذة جدًا، وتَجد فيها نشاطًا وفرحًا نفسانيًا. كل هذا ضلال. والشيطان يضحك عليك ويقول لكَ: ربنا مِسهلها، وربنا وضع أمامك الحاجة التي أنت تحتاجها! فتأخذ شيئًا لا يَخصّك وليس من حقك.

كل عمل أنتَ لستَ مُكلَّفًا به يَخرج عن حدود عمل الطاعة، ويفقد قيمته كعمل طاعة وكعمل مَحبة تُقدِّمه مَحبةً للمسيح، ويتَحوَّل إلَى عمل لإرضاء الذات، إله الإنسان الداخلي الخفي، الذي تُقدِّم له بخورًا وتُقدِّم له قرابينَ دون أن تدري.

فاحذرْ جدًا من الأعمال اللذيذة التي فيها نشاط وحرارة واندفاع. كل هذا تزييف من الذات: أعمال ذاتية لِحساب الذات وليست لِحساب الله، بل فيها عدم أمانة.

للأسف سوف تَجد أمثلة رديئة أمامك، لكن لابد أن تعرف ما هو الصح. لا تَدِن إخوتك، ولكن تعرَّف على الصح وتعرَّف على الخطأ. والغلط لا تفعله أنتَ، بل قدِّمْ عملك كعمل طاعة حبًّا في المسيح.

ما هو مفهوم "الراهب العمَّال" ؟
وتطبيق ذلك على حياة الراهب[٢٠]

سؤال ١ : ما معنَى كلمة "راهب عمَّال"؟

هل يُقصَد بالراهب العمَّال العمل بالجسد أم العمل بالفضائل؟

سؤال ٢ : هل العمل الكثير يعفي الراهب من حياته الرهبانية الطبيعية (يقصد مُمارساته الرهبانية من صلوات ومطانيات .. إلخ)، لأني سَمعتُ من أحد الرهبان أن الذي يعمل كثيرًا يأكل كثيرًا ولا يستطيع عمل المطانيات.

إجابة السؤال الأول :

الراهب العمَّال يُدعى هكذا طبعًا من جهة عمله بالفضائل، وليس من جهة العمل الجسدي. والعمل الجسدي إذا كان فيه بذل من أجل مَحبة المسيح يُعتبَر كإحدى هذه الفضائل. فعَن طريق غير مباشر يكون الراهب الذي يعمل كثيرًا – حبًّا في المسيح – يُدعَى راهبًا عمَّالاً.

لكن العمل الجسدي في حدِّ ذاته ليست له قيمة رهبانية إلاَّ من جهة مقدار البذل الذي يُعطَى فيه، حبًّا في المسيح.

الراهب العمَّال :

كلمة "عمَّال" موجودة في بستان الرهبان بكثرة بِمعنَى النشيط روحيًا، مثال:

---

(٢٠) حديث بتاريخ: ٢٠٠٥/٢/٤ ، رقم الشريط: ١١٧

[راهب قال لرئيس الدير: ''صلِّ علَيَّ يا أبي وأخلي سبيلي، فإني لست أريد البقاء ههنا''. فقال له الرئيس: ''لأي شيء يا ابني؟'' فأجابه قائلاً: ''إنه لا يوجد ههنا تعب، والآباء كلهم قديسون وأما أنا، فإني إنسان خاطئ، أريد أن أمضي إلى موضع حيث أُهان وأُشتم، لأنه بالازدراء والإهانة يخلص الخطاة'' فتعجب منه وعلم أنه **عمَّال**، فأخلى سبيله قائلاً له: ''اِمضِ وتقوَّ''] (بستان الرهبان، قول ١٠٣١).

هذا مثال لكلمة عمَّال في بستان الرهبان. فالعمَّال في هذه القصة هو النشيط روحيًا من الداخل، فهو لا يستريح للراحة وللمديح الذي يناله من الرهبان القديسين الذين حوله ويَحتاج إلَى مَنْ يشتمه ومَنْ يَحتقره.

هذه القصة هي القصة الوحيدة الفريدة في البستان التي فيها يُمتدَح راهبٌ غيَّر ديره. لا توجَد قصة أخرى في البستان مثلها، بل البستان مَملوء تَحذيرات ضد ذلك، فالشجرة التي تُنقَل من مكانٍ إلَى آخر لا تُثمِر. والراهب الذي يُغيِّر ديْرَه هو مثل الحمار الذي يركبه كل واحدٍ ولا يعتني به أحد. وأمثلة أخرى كثيرة بهذا المعنى.

إذًا، عندما تَجد إنسانًا يَحتقرك أو ينتهرك، اعتبِر أن هذه بركة، وهذه نعمة، بل إنها من المُقوِّمات التي تُثبِّتك في ديرك.

العمل الجسدي عند الآباء :

العمل الجسدي إذا كان به بذل حبًّا في المسيح يُعتبَر كإحدى الفضائل.

أمثلة للعمل الجسدي في البستان لِرهبانٍ كانوا متقدِّمين جدًا في القداسة:

+ أنبا أنطونيوس وأنبا مقار:

ذهب أنبا مقار إلَى أنبا انطونيوس في جبل العربة، وبعد ما قرع الباب تركه أنبا

أنطونيوس مدَّة دون أن يفتح له ... ثم سهرا الليل كلَّه يتكلَّمان في عظائم الله وفيما يَخص خلاص النفس، وما كانا في ذلك الوقت بطّالَين، بل كانا يُضفِّران خوصًا.

وتقول القصة إن أنبا أنطونيوس بلَّ خوصًا واستأذن أنبا مقار منه ليَبِلَّ هو أيضًا. لاحظ أن العمل دائمًا باستئذان وتدبير، ولا أحد يعمل بِمزاجه. فأنبا مقار استسمح أنبا أنطونيوس ولَم يقم من نفسه بِبلِّ الخوص. وأخذ أنبا مقار يُضفِّر، والضفيرة تطلع من الطاقة. وفي الصباح وَجَدَ أنبا أنطونيوس كمية كبيرة جدًا من الضفائر، فقال: ''إن قوَّة كبيرة تَخرج من هاتَيْن اليدين'' (قول ٣٨).

+ أنبا إيسيذوروس:

هذا مثال آخر لأحد آباء الرهبنة هو الأنبا إيسيذوروس عندما شاخ.

كان طول حياته يُضفِّر كمية معينة من الخوص، وعندما كَبُرَ في السن طَلَبَ منه الرهبان الشباب: ''أرِحْ نفسَكَ، لأنكَ قد شِخْتَ''. فأجابهم: ''لو أحرقوا إيسيذوروس بالنار وذرّوا رماده، فلن يكون لي فضلٌ، لأن ابن الله نَزَلَ من أجلي إلَى الأرض'' (قول ١٧٣).

فحتَّى زمن الشيخوخة والضعف الجسدي استمرَّ إيسيذوروس في العمل.

هنا ''راهب عمَّال'' بالمعنيَيْن: المعنَى الروحي والمعنَى الجسدي.

لكن المعنى المباشر الجسدي ليس له قيمة في ذاته إلاَّ كفضيلة روحية، لأنه إذا كان العمل الجسدي هو لأجل المباهاة ومديح الناس، فلا تكون له أية قيمة روحية، ولا يُعتبَر هنا الراهب عمَّالاً.

إجابة السؤال الثاني:

⊕ تعليقًا على كلمة: "سَمعتُ من أحد الرهبان". اِعلَم أن الراهب ذا المشورة الصالِحة يكون قليل الكلام، ولا يعطي مشورة إلا عندما تسأله. أمّا الراهب الذي يتكلَّم في الفاضي والمليان ويريد أن يُرشِد غيْره، هذا اِحذَرْ منه.

وهذه هي مشورة أبونا متَّى كثيرًا: "لا تأخذ المشورة من أي إنسان. لا تأخذ المشورة إلاَّ من المُكلَّفين بإعطاء المشورة".

الذي يقول: "إن الذي يعمل كثيرًا يأكل كثيرًا، ولا يستطيع عمل المطانيات". هو أحد اِثنَيْن:

إمَّا أن هذا الراهب يعمل كثيرًا ولا يعمل المُمارسات الرهبانية، ويُعطِي حياته كلها للعمل، وبالتالي لا يُعطي للعبادة حقَّها؛

وإمَّا أن هذا الراهب عكس ذلك، فلكي يتفرَّغ للعبادة، استعفَى كلِّيةً من العمل، لأنه ظَنَّ أنه لا تَقابُل بين حياة العمل وحياة العبادة.

لا هذا صح، ولا ذاك صح، الاثنان غلط.

العمل والصلاة :

الوضع الصحيح بحسب البستان: أن الراهب يشتغل ويصلِّي، العبادة والصلاة.

هذا أول قانون أعطاه الله لأول مَنْ أسس الرهبنة، وهو أنبا أنطونيوس. فعندما بدأ وخرج للجبل واشتكى من الضجر، وطلب مشورة الرب، جعله الرب يرى خارج

قلايته إنسانًا لابسًا زيَّ الرهبنة وجالسًا يُضفِّر، وبعد قليل رأى هذا الإنسان يقوم ليصلِّي، وبعد قليل رآه يَجلس ثانيةً ويُكمِّل الضفيرة، ثُمَّ بعد قليل قام ليصلِّي مرّةً أخرى، وكرَّر هذا. ثُمَّ قال له «اِعْملْ هكذا وأنت تستريح» وبعد ذلك لَم يَجده. لقد كان ملاكًا مرسلاً من الله لكي يُسلِّمه طريقة الحياة الرهبانية الناجحة (بستان الرهبان، قول رقم ٣).

أحد الآباء في البستان يقول: [إن إنسانًا كسلانًا بلغني عنه أنه أخذ من خزانتِه الإنجيلَ من الساعةِ السابعة إلى غياب الشمس، ولم يستطع أن يفتحَه البتة، وكأنه كان مربوطًا بالرصاصِ]. (قول ٢٨٣).

فالإنسان الذي لا يعمل، هو أيضًا ليست له هِمَّة روحية؛ زهقان! وبالتالي لا يستطيع أن يقرأ الإنجيل ولا أن يُقْبِل على العبادة.

أمَّا أنطونيوس فلم يفعل هكذا.

فلا يوجد تعارض بين حياة العبادة وحياة العمل.

⊕ والرهبنة الصحيحة الناجحة هي التي تَمزج العمل بالصلاة والصلاة بالعمل، وتجعل العمل يفيد الحياة الروحية:

أولاً: العمل يجعل حياة الراهب مؤسسة على البذل «مغبوط هو العطاء أكثر من الأخذ». فالراهب عارٌ عليه أن يعيش عالةً على المُجتمع، مادام هو في صحةٍ جيدة وقادر أن يعول آخرين أيضًا وليس نفسه فقط.

ثانيًا: العمل يعطيك نشاطًا ويجدد حيويتك، لكي تُقْبِل على الصلاة وقراءة الإنجيل بذهنٍ نشيط وصافٍ.

⊕ هل العمل يلغي القانون الرهباني ؟

+ والسؤال هنا: هل العمل (إذا كان شديدًا) يُلغي القانون الرهباني؟ هذا هو السؤال الدقيق.

ما استلمناه من أبينا متَّى: أن قانون الرهبنة لا يُلغَى، ولكن عند الاضطرار وفي الحالات الاستثنائية مثل ضُغطة العمل وضُغطة المرض يُمكن أن يُخفَّف ولكن لا يُلغَى.

فإذا كان الراهب لا يستطيع أن يعمل مطانيات إطلاقًا، يعمل كما فعل يعقوب، «فسجد على رأس عصاه» (تك٤٧: ٣١ حسب السبعينية). وهو جالس يعمل مطانياته، بالروح. هذا للشيخ الهرم الذي لا استطاعة له على القيام والسجود.

فالقانون لا يُلغَى، ولكن يُمكن أن يُخفَّف (تَحت الاضطرار).

طالَما أنتَ تعمل نصف يوم فقط، فلا عذر لكَ على الإطلاق أن تُلغي أي شيء من قانونك. لكن عندما تقابلك أيام استثنائية، تعمل فيها من الساعة ٧ صباحًا إلَى الساعة ١٠ مساءً، لا بد أن يُخفَّف القانون. اِعمل أقل عدد تستطيعه، فيه تُقدِّم حبَّك للمسيح، وتوبتك عن أخطائك، وتسبيحك للمسيح.

⊕ أعطِ كل ما عندك:

طبعًا العدد في ذاته لا يُحسَب أمام الله، فالذي يُحسَب عند الله ليس العدد في ذاته، ولكن أن تُعطي كلَّ ما عندك، مثل فِلسَي الأرملة التي قيل عنها إنها أعطت أكثر من جميع الآخرين، لأنها أعطت كل ما عندها، كل معيشتها.

فليس المطلوب العدد في حدِّ ذاته، ولكن المطلوب هو أنك تعطي كل ما عندك. كل ما عندك من عافية باقية لكَ، كل مشاعر قلبك تعطيها لله في مطانياتك وفي عبادتك.

هذه تَجعل المسيح يفرح بك، وكأنه يقول عنكَ: إن هذا أعطى أكثر من بقية رهبان الدير كلهم، الذين يعملون ربَّما أكثر من ١٠٠، و ٢٠٠ مطانية ... إن هذا الراهب الذي لَم يضرب إلاّ ١٢ مطانية فقط، قد أعطى للرب أكثر من كل ما أعطوه رهبان الدير. لِماذا؟ لأنه أعطى كل ما عنده.

وما نقوله عن المطانيات ينطبق على بقية الـمُمارسات الرهبانية أو بقية القوانين مثل: الصوم أو الصلاة بالمزامير أو التسبحة. فلا شيء من الـمُمارسات الرهبانية يُلغَى، ولكن عند الاضطرار (والله هو الذي يعلم مقدار اضطرارك) يُمكن أن يُخفَّف. يُخفَّف بِحيث أيضًا تُعطي كل ما عندك لله.

على قدر ما تُعطي كل ما عندك لله، على قدر ما يعتبِر الله عطيتك أكثر من جميع عطايا الآخرين.

ضبط الأكل :

[يأكل كثيرًا] تعبير خاطئ.

فالمفروض أن الراهب يأكل بإفراز.

والقديس أنطونيوس يعتبر الإفراز أهم الفضائل.

فلا بد من ضبط كمية الأكل على قدر كمية المجهود العضلي الذي يبذله الراهب.

هذا الإفراز في ضبط كمية الأكل لَم يُعلِّم به القديس أنطونيوس نظريًا ولكن عمليًا: دخل القديس أنطونيوس حصنًا قديمًا وحبس نفسه هناك ٢٠ سنةً متواصلة لَم يَخرج فيها. وبعد ٢٠ سنة، عندما خرج – تقول سيرته – إنهم رأوه كما عَهِدوه (أي لَم يتغيَّر) فلم يكن بدينًا بسبب قلة الحركة ولَم يكن نَحيفًا بسبب كثرة الصوم. هذا هو الإفراز عند القديس أنطونيوس. إفراز عملي في ضبط كمية الأكل.

هذا هو القانون العملي الذي استلمناه من أيام القديس أنطونيوس.

طبعًا الزيادة والنقصان في الوزن هو تبعًا للمقرَّر بالنسبة لجِسم الإنسان السوي. علمًا بأن المقرَّر بالنسبة للراهب يقل قليلاً عن المكتوب في الكتب بالنسبة للعلمانيين.

وليس هناك مانع أن الراهب يلاحظ وزنه كل فترة، لكي تعرف إذا كنتَ أنتَ مُتسَيِّب في الأكل ووزنك بيزيد، أو تعرف أنك أقل من الوزن المُقرَّر، فتزيد قليلاً من أكلك. فلا يُؤخَذ الراهب من ضربة شَمالية من التسيُّب، ولا أيضًا من ضربة يَمينية من كثرة الصوم والإمساك الجائر[٢١].

مائدة الشركة :

⊕ بالنسبة لضبط الأكل، من أعظم المُمارسات الرهبانية هي المائدة المقدَّسة الموجودة عندنا في الدير. كونك تُعوِّد نفسك أنكَ تأكل في جوّ مقدَّس، جو صلاة

(٢١) يقول القديس أنطونيوس: [إن الإفرازَ يُعلِّمُ الإنسانَ كيف لا يُسرَقُ من الضربةِ اليمينيةِ بالإمساكِ الجائرِ المقدار، وكيف لا يُسرَقُ أيضاً من الضربةِ الشماليةِ بالتهاونِ والاسترخاء] (بستان الرهبان، قول ٣٢)

وصمت، هذا كفيل بأن يَجعل عملية الأكل – التي هي من العمليات الأساسية لِحياة الإنسان – تكون خاضعة للروح.

أمَّا إن كنتَ تعوِّد نفسك أن تأكل في أيِّ وقت، ولا مانع من أن تأكل وسط الوجبات، ولا مانع أن تأكل وسط العمال، وتُمارس الهذار والضحك أثناء الأكل؛ فتجد في اللاشعور عندك أن عملية الأكل — التي هي من أهم أنشطة الإنسان الطبيعية — ترتبط بصفات غير روحية.

معروف أن غريزة الأكل من أهم الغرائز في الإنسان. أن تُطوِّع هذه الغريزة لتكون خاضعة للروح، هذا من أهم ما يُمكن في اللاشعور عندك.

فمثلاً، إذا كنتَ تأكل وضُرِبَ جرس الكنيسة، فتقوم عن الأكل وتذهب إلَى الكنيسة، تكون قُمتَ بذلك ''بخبطة معلِّم''، إنك بذلك تُروِّض جسدك وتُعلِّمه عمليًا أن الروح ينبغي أن تسود على الجسد.

فإذا تعوَّدتَ الأكل في المائدة تتعوَّد أن تأكل في جوٍّ مقدَّس. وهذا شيء لا يُعلَى عليه من جهة تربية نفسك.

وبالإضافة إلَى ذلك، أثناء الأكل في المائدة تسمع البستان وتَجد أنه تتكوَّن عندك على مَرّ السنين ذخيرة روحية رهبانية لا تُقدَّر ولا يُمكن أن يُستعاض عنها.

يُمكن أن يتحجَّج البعض أنه يأكل في قلايته ويقرأ البستان! لا، هذه ليست مثل تلك.

المائدة فيها شيء من أهم ما يُمكن: روح الشركة. فعندما تُعوِّد نفسك أن تأكل

في جو شركة مع إخوتك يتَربَّى عندك في اللاشعور روح شركة وروح مَحبة، روح الجسد الواحد.

ليس بدون سبب أن المسيح اِختار أن يصنع سرّ الإفخارستيا في اجتماع أكل مشتَرك مع تلاميذه. قصد المسيح أن يصنع سر الجسد الواحد وسط وليمة مَحبة.

فالرب الذي خلق الإنسان يعلم أولاً: أهمية غريزة الأكل، ثانيًا: أن الأكل المشتَرك يُقرِّب القلوب ويُقرِّب الأذهان، ويَجعل التقابل في الآراء والأفكار أسهل.

نَجد دائمًا في السياسة: عندما يريد السياسيون أن يتكلَّموا في موضوع شائك، يعقدون "عشاء عمل"، وهناك يتحدَّثون في هذا الموضوع الحرج في وسط جو ألفة وصداقة. وفي هذا الجو يستطيعون أن يصلوا إلَى تقارب في وجهات النظر بطريقةٍ أسهل مِمَّا لو كانوا جالسين في اجتماعاتهم العادية.

لذلك أسَّس المسيح الإفخارستيا وسط عشاءٍ.

المائدة في الدير هي أساس الشركة الروحية بين الرهبان :

الراهب الذي يُعوِّد نفسه أن لا يَحضر المائدة، يكون من السهل عليه أنه في وسط كلامه يقول: أصل هم ... وأنا ... هم ... وأنا ... هم ... وأنا ...

الخلفية التي يفكِّر بها هذا الراهب: هم ... وأنا ...

الراهب الذي عوَّد نفسه منذ أيام شبابه أن يَحضر المائدة، يستحيل أن هذه الخلفية أو هذا العيب النفساني يتَربَّى فيه. يقول دائمًا: نَحن، ليس هناك هم، وأنا.

المائدة هي عربون الملكوت:

«أنتم الذين ثبتُّوا معي في تَجاربي، وأنا أجعل لكم كما جعل لي أبي ملكوتًا لتأكلوا وتشربوا على مائدتي في ملكوتي» (لو٢٢: ٢٨-٣٠).

طبعًا ملكوت الله «ليس أكلاً وشُربًا، بل برٌّ وسلام وفرح في الروح القدس» (رو١٤: ١٧)، ولكن المسيح شبَّهه بوليمة نأكل ونشرب فيها على مائدته، لأنه لا يوجَد في اللغات البشرية شيء يُعبِّر عن الشركة الروحية الموجودة في الملكوت أكثر من الألفة الروحية التي توجد بين أناسٍ يأكلون ويشربون معًا في جوٍّ روحي. فلم يَجد المسيح في لغات البشر شيئًا يُعبِّر عن الألفة والشركة والفرح الروحي الذي في الملكوت أكثر من الفرح والألفة والشركة الموجودة بين الإخوة الأحباء عندما يأكلون معًا.

فالشركة الروحية التي نَختَبِرها في المائدة هي عربون الشركة التي ستُعطَى لنا في الملكوت.

الملكوت سيكون أساسًا: شركة.

أحد المتأمِّلين الروس يُصوِّر الجحيم بأنه سيكون فيه كل واحد في ظهر الآخر ولا أحد يرى أخاه! والصراخ يعمُّ الجميع. انقطاع الشركة هو الجحيم!

ولكن في الملكوت سيكون الجَميع حول مائدة، مثال مائدة الإفخارستيا، والمسيح في وسطها.

يقول المزمور: «فرحتُ بالقائلين لي إلى بيت الرب نذهب ... أورشليم المبنية

مثل مدينة متصلة بعضها ببعضٍ».

فالذين في الجحيم لن يكون بينهم شركة أو اتصال.

أمَّا الذين في الملكوت فسيكونون كأورشليم المبنية كمدينة متصلة بعضها ببعض.

«نخبركم به ليكون لكم أيضًا شركة معنا، وأمَّا شركتنا نحن فهي مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح» (١يو ١: ٣).

المائدة ليست واجبًا. المائدة امتياز.

لا تُضيِّع هذا الامتياز على نفسك.

مثل إنسان مدعو إلى وليمة الملك ومعه بطاقة دعوة. إنه يُسرِع حتَّى لا يُضيِّع على نفسه الفرصة.

+

+ + +

+

الراهب وكيفية التعامل مع العمّال[٢٢]

سؤال:

كيف أتعامل مع العمّال كراهب؟ وكيف لا أفقد سلامي في التعامل معهم، وفي نفس الوقت دون أن أتهاون في عملي وبدون أن أسبِّب عثرة لِعاملٍ منهم، مع ملاحظة اختلاف نوعية العمال فمنهم المشاغب وخلافه؟

الجواب:

يبدو لأول وهلة أن هذا السؤال لا يتناسب مع الصوم المقدس الذي نحن فيه الآن، ولكن من جهة أخرى فإن الصوم المقدس هو موسم التجربة. والتجربة من أجل تقويم النفس وتعديل المسيرة ومن أجل النجاح.

كل تَجربة هي مرتَّبة من الروح القدس من أجل أن ننتصر فيها، ومن أجل أن ننمو ونتقدَّم روحيًا.

لذلك يُمكن أن نعتبر من أكثر التجارب العملية في حياتنا كرهبان هي التي تقابلنا في حياتنا اليومية في تعاملنا مع العمّال.

الصعوبة الظاهرة في هذا الموضوع: كيف أتعامل مع العمّال محتفظًا بأمرَين: ففي نفس الوقت أكون حازمًا لكي ينجح العمل، وفي نفس الوقت يكون لديَّ مَحبة، ولا أُعثر العمال أو أفقد سلامي، أو أغضب غضبًا لا يليق؟

---

(٢٢) حديث بتاريخ: ٢٠٠٥/٣/١١ ، رقم الشريط: ١٢١

فلنبدأ من الداخل:

لكي نعالج هذا الأمر، يَجب أن نبدأه من الداخل، كما قال المسيح: «من فضلة القلب يتكلَّم الفم» (مت ١٢:٣٤). فإذا كانت مشاعري سليمة من الداخل فدون أن أقصد، فإن كلامي سيخرج سليمًا دون أن يجرح، ويكون كل تصرُّفي الخارجي سليمًا. أمَّا إذا كانت مشاعري الداخلية مغلوطة، فإن الكلام الخارجي سيكون مغلوطًا ويُعثِر الآخرين.

لذلك من المهم أولاً أن يكون تركيزنا على تقويم مشاعرنا الداخلية، وبالتالي سيكون تصرُّفنا الخارجي مضبوطًا.

فلنفرِّق بين الخطأ والمخطئ:

من الداخل يجب أن يكون واضحًا أمامي الفرق ما بين أني أغضب على التصرُّف الخاطئ، وما بين أني أغضب على العامل نفسه وأكره العامل نفسه. لابد من وضع فارق واضح بين الخاطئ والخطيئة. أنا أغضب من أجل الخطأ، ولكن العامل هو صديقي وأخي في المسيح، وأنا لا أغضب عليه هو، ولكن أغضب على الخطأ الذي وقع منه. فلو كان ذلك واضحًا، فإن العامل سوف يَحسّ به، سوف يَحسّ العامل أن غضبي هو لأنه فعل خطأً، وأنا لا أكرهه هو، لا أُهينه هو.

اعتبارات هامة :

[١] يَجب أولاً أن أحترِم العامل من الداخل، كإنسان. فمن أكثَر الأخطاء أننا نَحتقر الإنسان الذي يكون صغيرًا أو فقيرًا أو جاهلاً. هذا شيء يُغضِب الله جدًا، لأن أي إنسان هو مَخلوق من الله، فإذا كانت خليقة الله لا تعجبني، فكأني أقول لله

إن عملك لا يعجبني. «المستهزىء بالفقير يعيّر خالقه» (أم١٧: ٥)، فكل خليقة الله ينبغي أن نَحتَرمها بسبب خالقها الذي خلقها، هذا من جهة.

[٢] ومن جهة أخرى، هو صورة الله، والذي يَهين الصورة يَهين صاحب الصورة.

[٣] ومستوى ثالث أهمّ وأخطر: أي إنسان تعريفه عند بولس الرسول هو: «الأخ الضعيف الذي مات المسيح لأجله» (١كو٨: ١١ ورو١٤: ١٥). فكل إنسان مهما كان صغيرًا أو رديئًا أو جاهلاً، كل إنسان له كرامة كبيرة في عينَيَّ بسبب أن الله ثمَّنه بدم ابنه. وكم تكون قيمة هذا الدم؟ إنه دمٌ كريمٌ جدًا جدًا. فإذا كان هذا الإنسان المُحتقَر قد ثمَّنه الله بدم ابنه، يستحيل أني أحتقره، بل أُكرِّمه وأعتبره ثَمينًا جدًا عند الله.

[٤] مستوى رابع أخير: يقول بولس الرسول: «**وهكذا إذ تُخطئون إلَى الإخوة وتَجرحون ضميرهم الضعيف تُخطئون إلَى المسيح**» (١كو٨: ١٢).

هذا العامل المُخطئ أعتبره جزءًا من جسد الرب، فعندما أنا أخطئ إلَى جزء من جسد الرب، إذًا فأنا أخطئ إلَى المسيح.

هذه الآية خطيرة جدًا. من أين أتى بولس الرسول بهذا المبدأ؟ من الخبرة التي عاشها، إذ خاطبه المسيح قائلاً: «شاول شاول، لِماذا تضطهدني؟» كان بولس الرسول يضطهد المسيح دون أن يدري في شخص أولاده، لأنهم كانوا جسده، هم أعضاء منه. فكأن المسيح يقول له: ”عندما تأخذ رجالاً ونساءً مسيحيين وتُسلِّمهم إلَى السلطات وتُعذِّبهم، فأنتَ بذلك تُعذِّبني أنا“. من هذه الرؤية التي

أثَّرت على بولس الرسول في عمق كيانه ولاشعوره ، أصبح يعيش باستمرار في هذا المبدأ: «وهكذا إذ تُخطئون إلَى الإخوة ... تُخطئون إلَى المسيح».

كل هذه الاعتبارات تَجعلني لا أحتقر العامل أو أُهينه كإنسان، ولكن يُمكن أن أراجعه وبشدَّة، ويُمكن أن أغضب ولكن يَجب أن يَحسّ جيدًا – (إذا كان ذلك واضحًا داخلي، سيكون واضحًا من الخارج) – أني أغضب على الخطأ، وليس عليه هو، لا أكرهه، ولا أهينه هو. هذا هو معنَى «اِغضبوا ولا تُخطئوا» (مز٤: ٤).

اِغضبوا ولا تُخطئوا :

يقول مار إسحاق: [اِلبسْ الغضب واخلعه سريعًا].

بِمعنى إذا كان لابد أن تغضب، اِلبسْ الغضب واخلعه بسرعة، أي لا تَجعل الغضب يلبسك ويَمسك فيك. فبعد أن غضبتَ على الخطأ الذي صنعه إنسان، عليك أن ترجع سريعًا وكُنْ عاديًا وتكلَّم كلامًا عاديًا، وقدِّم مَحبتك له دون أن تكون مشدودًا أو متكدِّرًا.

على هذه الخلفية، من الممكن أن أكون أمينًا في العمل ومُدقِّقًا جدًا فيه، وأُشدِّد على العمال لكي يَخرج العمل سليمًا، ولكن دون أن أُعثِرهم ودون أن أخطئ أنا أو أغضب على العمال من الداخل أو أهينهم أو أحتقرهم، وبالتالي دون أن أُعثرهم من الخارج، لأن الداخل ينضح على الخارج.

الراهب صورة للمسيح:

العامل ينظر للراهب على أنه صورة للمسيح، وهذه هي خطورة أن أُعثره. فعندما أتقدَّم لِموقفٍ صعب، أحسّ فيه أني سأفقد فيه سلامي، ينبغي من داخل

قلبي أن أصلِّي: ”يا رب اِجعل تصرُّفي لائقًا بصورتك، لائقًا بإنسان يُمثِّلك، بإنسان يعيش في حبِّك“. عندما أقول هذا من الداخل وأتقدَّم لِهذا الموقف، فمهما كنتُ شديدًا في هذا الموقف، فإن الله سيعطيني نعمةً أن لا أخرج عن حدود علاقتي بالمسيح، وبالتالي لا أُعثر الآخرين. أمَّا إذا تقدَّمتُ بذاتي أنا دون أن أطلب نعمة من الله، فبالطبع سوف أُعثر الآخرين وأقع أنا نفسي في الخطأ.

سؤال:

ولكن كيف يسمع العامل كلامي دون أن يتذمَّر أو يَحسّ إني أتعالَى عليه؟

الجواب:

✝ لكي يَحسّ العامل أنك لا تتعالَى عليه، فعندما يكون رأيه صحيحًا، استحسن رأيه وخُذ به. بِمعنى أنه عليك أن لا تُصمِّم على رأيك مهما قال هذا العامل من صح أو خطأ، فتقول له: ”سوف لا نعمل ما تقوله، وأنتَ لا تفهم شيئًا“، أو ”اِعمل كما أقول لك أنا!“ هذا هو الشيء الذي يَجعله يَحسّ أنك تتعالَى عليه، وبالتالي فإنه يغيظك بكل طريقة، ويُحاول أن يَجعلك تقول الخطأ لكي يأخذ هو فرصة ويقول للراهب الأكبر منك إن فلانًا هو الذي قال هذا، فيوقعك في مشاكل.

حاول إنك لمّا ترى أن العامل قال رأيًا صائبًا، تستصوب رأيه وتأخذ به. هذه تعطي لك فرصة أنك لمّا ترى أن هذا العامل يقول شيئًا غير مضبوط، وأنتَ تعلم الصح، تستطيع في هذه الحالة أن تقول له: لا، إنك في هذا الأمر ليس عندك حق، والصح هو هكذا. فالموقف السابق يَجعله يَحسّ أنك لَم تقل هذا الآن لكي تتعالَى عليه، بل إنك تقول هذا لأن هذا هو الصح.

⊕ لا تكن متسرِّعًا في إعطاء أوامر:

نصيحة أخرى، بالذات لأنكم مبتدئون، وتوجد أماكن عمل فيها عمّال عندهم خبرة أكثر منكم، وهم موجودون في هذا المكان أقدم منكم. الأفضل أنك لا تعطي أوامر لعامل أقدم منك لئلا تكون تلك الأوامر خطأ، والذي يقوله هو يكون هو الصح، وبعد ذلك تُحرج أنتَ نفسك. ولكن بالذات في بداية دخولك في عملٍ معيَّن، حاول أن تلاحظ كل شيء، كُنْ صامتًا، ولكن كُنْ منتبهًا جدًا، وأذناك وعيناك في تركيز مدقِّق لكي تفهم كل ما يتم. وبعد ذلك وعلى انفراد تسأل الأب المسئول الذي هو أقدم منك: لِماذا هذه تُعمَل هكذا؟ وما هو أصول هذا؟ وتسأل على انفراد لكي تأخذ خبرة بدلاً من أن تَنْدَبّ وتتسرَّع وتقول اِعمل كذا وكذا، ويكون العامل فاهم أفضل منك فيقول لك إن ما تقوله خطأ ، فتُحرج أنتَ نفسك.

⊕ "على قدر طاقتكم ..." :

وبعد كل ما قلناه، هناك أيضًا حالات مستعصية: سوف تَجد أنه يوجد عمّال مشاكسون، ومهما صلّيت ومهما حاولت أن تتلطَّف مع العامل، سوف تَجد هناك نوعية مشاكسة. الإنجيل يقول: «إن كان ممكنًا فحسب طاقتكم سالِموا جَميع الناس» (رو١٢: ١٨). بحسب طاقتكم، بِمعنى: اِعمل كل جهدك، ولكن النجاح ليس مضمونًا.

هذه الحالات يُمكن اعتبارها داخلة تَماماً في مَجال حياتنا الروحية نحن الرهبان، وفرصة ذهبية مُعطاة لكَ لأن تُمارس الإنجيل، لكي تقدر أن تُمارس وصية: «أحبوا أعداءكم، باركوا لاعنيكم» (مت٥: ٤٤).

لو كانت الحياة في الدير في سهولة كاملة، ولا يوجد شخص يشاكسك أو يُزعِّلك أو يضايقك، يكون هناك شيء ناقص في الحياة الديرية. وكما فعل "الراهب العمَّال" في البستان، يحق لكَ أن تذهب إلَى الأب الرئيس وتقول له: صلِّ لأجلي يا أبي وأطلق سبيلي. ولما سأله الأب عن السبب، قال له: لأن جَميع الرهبان قديسون ولا يوجد هناك مَنْ يُهينني أو يشتمني، وأنا إنسان خاطئ، والخطاة بالشتيمة يَخلصون. لذلك دعني أذهب إلَى مكان آخر أُشتَم فيه. فعلم الرئيس أنه راهبٌ عَمّال، فأخلى سبيلَه قائلاً له: امضِ وتقوَّ (البستان، قول ١٠٣١).

لذلك، اعتبر أن مثل هذه المصاعب التي تدخل في بند: «حسب طاقتكم، سالِموا جَميع الناس»، هي فرصة ذهبية لكي تُمارس الإنجيل، وتُقابل الشر بالخير، وتُقابل المشاكسة بالطيبة والصمت، وتكون صورةً للراهب الذي يَحتمل الإهانات بصبرٍ ودون انتقام.

الصلاة المقتدرة :

والصلاة الداخلية من أجل العمّال هي من أكثر الأمور التي تَجعل علاقتك بالعمّال ناجحة. فعندما تصلِّي من أجلهم من الداخل، من أجل خلاصهم، سوف تَجد نفسك كَمَنْ هو له سلطان عليهم، فلأنك تصلِّي من أجلهم، فهم يَخضعون لكَ. تصير مثل آدم الذي كانت وحوش البَرِّية كلها تَخضع له، ويصير لكَ سلطان عليهم.

تابع نفس السؤال:

وكيف أشعر إني أقل من العمّال وأنا أديرهم وأرى منهم الاحترام الزائد؟

الجواب:

هذه نوعية أخرى من العمال، تَحتَرم الراهب وتُقبِّل يده. فكيف أشعر أني أقل منهم؟

أولاً، اِعتبر أن احتِرام هؤلاء العمال ليس لكَ شخصيًا، إنه لصورة الرهبنة التي أنتَ تُمثِّلها. إنهم سَمعوا عن الرهبان القديسين، والشعب القبطي مغروس فيه احتِرام الرهبان، لأن الرهبنة هي روح الكنيسة. لذلك هم يَحتَرمون الرهبنة التي أنا أُمثِّلها، وليس أنا شخصيًا. أمَّا أنا، فأنا «تُراب ورماد» (تك ١٨:٢٧)، «الإنسان الرِمَّة وابن آدم الدود» (أي٢٥:٦). أنا، كما يقول بولس الرسول: «أعلم أنه ليس ساكن في، أي في جسدي شيءٌ صالِحٌ» (رو٧:١٨). لذلك هم لا يَحتَرمونني أنا بل الرهبنة التي أنا أُمثِّلها.

جيدٌ أن لا أُعثِر أحدًا:

جيدٌ أنهم يَحتَرموها (صورة الرهبنة التي أنا أمثِّلها)، وجيدٌ أني أنا لا أُعثِرهم، ولكن في نفس الوقت يجب أن أعمل خطًا فاصلاً بيني أنا، أنا كإنسانٍ خاطئ، وبين أي صلاح في، فهو مُعار إلَيَّ من الله، مُعطَى لي من الله. كما تقول الآية: «أي شيء لكَ لَم تأخذه، وإن كنتَ قد أخذتَ، فلماذا تفتخر كأنك لَم تأخذ» (١كو٤:٧).

معنى هذه الآية: ما هو الشيء الصالح الذي عندك، وأنتَ صاحبه أو هو من عندك أنتَ؟! هذه الأشياء الصالحة كلها التي فيك، أنتَ أخذتَها من الله. فكل شيء لدينا صالِح هو من الله، ونحن لَم نصل إليه بشطارتنا. فإن كنتَ أنتَ أخذتَها من الله، فلماذا تفتخر بها كأنها من عندك أنتَ؟!

فصورة الرهبنة هذه لا تَخصّك أنتَ، ولستَ أنتَ صاحبها، وليست شطارة منك. هذه تَخصّ القديسين الذين سبقونا والذين لبسوا هذا الزي وأعطوا سُمعة جيدة لِهذا الزي. فالشعب يَحتَرِم أنبا أنطونيوس وأنبا مقاريوس في صورة الجلابية التي أنا لابسها، ولكني أنا لستُ شيئًا.

وكيف أشعر أني أقلّ منهم ؟

أنا أقلّ منهم إذا كانوا هم يقومون بعملهم بأمانة، والاحتِرام الذي يُقدمونه لي هو احتِرام لصورة الرهبنة. كل هذا مَحسوب لَهم ومَحسوب علَيَّ. مَحسوب علّيَّ: «ويلٌ لكم إذا قال فيكم جَميع الناس حسنًا» (لو٦:٢٦)، ومَحسوب لَهم: «مَنْ يقَبِلَ نبيًا باسم نبي فأجر نبي يأخذ» (مت١٠:٤١). لذلك، هم سيأخذون أجرًا لأنهم يُكرِّمون فيّ صورة الرهبنة الأولَى الأصيلة، لِهذا هم سيأخذون أجرًا على ذلك. وأمَّا أنا، فهذه مَحسوبة علَيَّ: «ويلٌ لكم إن قال فيكم جَميع الناس حسنًا»، خاصة وأنتم لَم تكونوا على هذا المستوى.

لذلك، فأنا أشعر أنهم أفضل منِّي أمام الله.

مفاجآت اليوم الأخير:

شيء آخر: اليوم الأخير سيكون فيه مفاجآت كبيرة جدًا، وكثيرون أولون سيكونون آخرين وآخرون سيكونون أولين. مُعظم الآباء الرهبان العظام رأوا هذا المنظر، مثل الأب سلوانس رأى هذا المنظر، فبقيَ بعدها حزينًا مدّةً طويلة، فلمّا سألوه عن السبب، قال لَهم: [إني اختُطفتُ إلى موضعِ الدينونةِ، ورأيتُ كثيرين من جنسنا يُساقون إلى العذابِ، وكثيرين من العلمانيين منطلقين إلى الملكوتِ] (البستان، قول ٨٢٨).

والمسيح نفسه قال: «كثيرون أولون يكونون آخرين وآخِرون أولين» (مت١٩: ٣٠)، وأيضًا «إن العشارين والزواني يسبقونكم إلَى ملكوت الله» (مت٢١: ٣١). وكان شديدًا جدًا على الكتبة والفريسيين الذين كانوا مُحتَرِفي الدين وخُبَراء في العبادة، ولَم يُسَرّ بِهم الله.

لذلك أشعر أنه يُمكن جدًا أن هؤلاء العمّال البسطاء يسبقونني إلَى الملكوت، وأنا أُطرَح خارجًا، أو بصعوبة أدخل الملكوت.

وعلى كلٍّ سوف تَجد في مَجال العمل أن هذه تُعوِّض تلك! ستجد هناك العامل المشاكس الذي يُضايقك والذي يُتعبك، وهناك أيضًا ستجد العامل الآخر الذي يَحتَرمك.

فاشكر الله على المشاكل التي تُقابلك واعتبِرها ترياق ضد سُموم الاحتِرام التي تأخذها بصفتك راهب.

كل ما تُقابل إنسانًا لا يَحتَرمك، أُشكُرْ الله، واعتبِر أن هذا مُعطَى لكَ من الله كتِرياق أو كوقاية ضد مَخاطر الاحتِرام الذي أنتَ تأخذه الآن أو مُهيَّأ لكَ في المستقبل.

فعندما يوجد إنسانٌ يُهينني أشكر الله جدًا جدًا، فهذا دواء ووقاية ضد السموم.

الراهب والاحتكاكات[٢٣]

⊕ هناك من الرهبان مَنْ يُحاول أن يَهرب من مَجال الاحتكاكات ويقول أنا أخسر بسببها، فالأفضل لي أن لا أعمل في مَجال مثل هذا حتى لا أخسر.

توجد عظة للقديس يوحنا ذهبي الفم عنوانها «في أنه لا يضرّ الإنسان إلاّ الإنسان نفسه». يعني لا يوجد شيء يَجعلك تَخسر إلاّ إذا كنتَ أنتَ من نفسك تُخسِّر نفسك.

لَهيب الحب الإلَهي:

⊕ الاحتكاكات هي التي تُربِّي الراهب، لأن الاحتكاكات هي التي تساعدك لأن تقطع هواك، وأن تنكر نفسك، وأن تُميت ذاتك. وبالاختصار أن تُمارس الوصية: «فلينكر نفسه ويَحمل صليبه ويتبعني» (مت١٦:٢٤). هذه هي التي تُخلِّصك من ذاتك. فعندما تتخلَّص من مَحبتك لذاتك، فهذا هو الذي يفتح أمامك باب الحب الإلَهي.

قراءة من مقالة ”نصائح لرهبان جدد“ – (مَجلة مرقس، نوفمبر ١٩٧١):

> **[لاحظ أيها الراهب السعيد برهبنتك وبِمجمعك وبِحياتك الجديدة، أن كل العوامل التي تصلح لِموت الذات وتُساعد على جحدها وتنمية موت المشيئة وقطع الهوى مثل الظلم والإهانة والازدراء بك وإهْمال مطالبك واحتقار أفكارك ورأيك واحتياجك للضروريات والآلام**

---

(٢٣) حديث بتاريخ: ٢٠٠٤/٩/٢٤ ، رقم الشريط: ١٠٨

والأمراض التي تتعرَّض لَها أثناء حياتك، هذه كلها هي هي نفسها العوامل التي تُلهب المَحبة الإلَهية وتُؤجِّجها كحطبٍ للنار.

لذلك، فالراهب الذي نوَى على الدخول في إماتة الذات وقطع المشيئة هو الراهب الذي ينفتح له مَجال الحب الإلَهي ليجري فيه جريًا. لأن من موت الذات تنفتح طاقات الحب. لأن الرب لا يتَراءى إلاّ في قلوب الذين أسلموا له ذواتِهم تسليمًا كلِّيًا. «إن أراد أحد أن يأتي ورائي فلينكر نفسه ويَحمل صليبه ويتبعني»].

هذه الفقرة مَملوءة مباديء جوهرية، فيها جوهر الرهبنة، مثل:

+ **[لأن من موت الذات تنفتح طاقات الحب]،**

+ **[الراهب الذي نوَى على الدخول في ميدان إماتة الذات وقطع المشيئة هو الراهب الذي ينفتح له ميدان الحب الإلَهي ليجري فيه جريًا]،**

+ **[كل العوامل ... مثل الظلم والإهانة ... والازدراء بك** (أي التريقة عليك) **وإهمال مطالبك ... هي هي نفسها العوامل التي تُلهب المَحبة الإلَهية وتُؤجِّجها كالحطب للنار].**

نعم، هي أعشاب مرّة، ولكن عندما تَمضغها وتستوعبها وتبلعها، هي التي سوف تُسمِّنك روحيًا وتعطي لك صحَّة روحية وتفتح لكَ ميدان الحب الإلَهي لتجري فيه جريًا.

هذه كلها تُضرم فينا النار المقدسة بزيادة:

لو فهم الراهب هذا، فالشيطان يكون غلبانًا جدًا أمامه. لِماذا؟ لأن كل السلبيات التي يُلقيها الشيطان على الراهب هي هي التي تدفعه للأمام وتفتح أمامه ميدان الحب الإلَهي ليجري فيه جريًا. الذي يفهم هذا سيصبح أمامه الشيطان غلبانًا ومغلوبًا.

«مياه كثيرة لا تستطيع أن تُطفئ نار المِحبة» (نش ٨:٧).

فنار الحب الإلَهي عندما يأتي الشيطان ويرمي عليها مياهًا كثيرة، يَجد أن هذه النار (التي من طبيعة الله) تُحوِّل المياه إلَى بنزين وتجعل هذه المياه عينها تُؤجِّجها كالحطب للنار. فماء الشيطان تتحوَّل إلَى بنزين!

فالأمراض تتحوَّل إلَى اشتعال للحب الإلَهي في القلب.

زميل يفتَري عليه ويشتكيه للرؤساء ويظلمه ويتَّهمه أنه الغلطان وأنه هو الذي أفسد العمل.

فالراهب النشيط روحيًا الذي فهم هذا الموضوع يُحوِّل هذا كلَّه إلَى ما يُؤجِّج نار الحب الإلَهي داخل قلبه.

ما هو الصليب؟ هو الأداة التي تُحوِّل السلبيات إلَى إيجابيات، وتُحوِّل كل التجارب إلَى إشعال الحب الإلَهي داخل القلب.

ما الذي فعله الشيطان ضد الشهداء؟ حاول الشيطان أن يَجعل الشهداء يُنكرون المسيح، وإذ به يرى أن هذه المُحاولة نفسها جعلت نار الحب الإلَهي

تتأجَّج في قلب الشهيد أكثَر فأكثَر، فيتمجَّد الشهيد بهذه الآلام، وتتحوَّل له هذه الآلام إلَى مَجد.

هكذا كل التجارب التي جلبها الشيطان على آبائنا الرهبان الأوائل تَحوَّلت إلَى أكاليل وإلَى مَجد وإلَى إشعال الحب الإلَهي داخل قلوب الرهبان وإلَى التصاقهم الأكثر بالمسيح ودخولِهم في سرّ الحب الإلَهي أكثر فأكثر.

⊕ «**المسيح لَم يُرضِ نفسه**»:

هناك من الرهبان مَن يقول: ”أنا لا أحب الدخول في الاحتكاكات“، ماذا تقول له؟!

تقول له: أنتَ لَم تدخل الدير لكي تَجد الشيء الذي تُحبه. أنتَ أتيتَ للدير لكي تقطع هواك وتقطع مشيئتك وتُنكر ذاتك، لكي لا تُرضي نفسك، «لأن المسيح أيضًا لَم يُرضِ نفسه، بل كما هو مكتوب: تعييرات معيِّريك وقعت علَيَّ» (رو١٥:٣)، فالمسيح لَم يأتِ إلَى العالَم لكي يُرضي نفسه، بل جاء لكي يُنكر نفسه، ويبذل نفسه فديةً عن كثيرين ويتحمَّل التعييرات، فيتمجَّد بذلك. أمَّا نَحن فأعطانا وصية أن نُنكر نفوسنا على مثاله، حتى إن كُنَّا نتألَّم معه فلكي نتمجَّد أيضًا معه (رو٨: ١٧).

نتمجَّد معه معناها ندخل معه في مَجال الحب الإلَهي. إن المَجد في المفهوم الروحي هو الحب الإلَهي، هو القدرة على البذل.

فعندما نقول إن طبيعة الله مَجيدة جدًا، نعني أن طبيعة الله لَها قدرة على البذل

وعلى إغداق الخير على الخليقة كلها بصفة غير مَحدودة. هذا هو مَجد الله.

فإن كُنَّا نتألَّم معه، فلكي نتمجَّد معه، لكي نشترك معه في صفة الحب الإلهَي.

قد يقول راهبٌ: ''أنا لا أحتمل أن أحدًا يقول لي شيئًا، ثُمَّ بعد ذلك يُغيِّر رأيه من ورائي ويقول شيئًا آخر ...''

ويقول راهبٌ آخر: ''أصل **أنا** ...''

هنا بداية الكلام غلط: '' **أنا** ...''

نَحن أتينا إلَى الدير لكي ''ننكر نفوسنا'' أي لكي نشطب الـ ''أنا'' ونلغيها ونلقيها على الأرض، مثل الراهب الذي ألقى الطاقية على الأرض وأخذ يدوسها برجليه، عندما سألوه: ما هي الرهبنة؟ (البستان، قول ١٩٦)

''أصل أنا'' كلمة مشجوبة ويَجب أن تكون مثل طاقية زكريا، تكون مدوسة على الأرض.

فنحن لَم نأتِ لكي نُرضي الـ ''أنا''، لَم نأتِ لنرضي نفوسنا، ولكننا أتينا لكي نستطعم الأعشاب المرّة التي تفيد حياتنا الروحية.

هذه الأعشاب المرَّة هي التي تُعطيكَ الصحة الروحية،
هي التي تقطع هواك، هي التي تُميت ذاتك،
هي التي تفتح أمامك ميدان الحب الإلهَي لكي تَجري فيه جريًا.

لا تهرب:

علمًا بأن الراهب الذي يَهرب من مَجال الاحتكاكات، هو الذي يَحتفظ بعيوبه كائنة داخله دون أن تنفضح ودون أن تنكشف، فتبقى عيوبه فيه ويشيخ وعيوبه مازالت موجودة فيه كما هي. بينما الراهب الذي لديه شَجاعة كافية لأن يرمي نفسه في وسط الماء، أي يرمي نفسه في المَجال الذي وضعه فيه الرب، هو الذي يتخلَّص من عيوبه – ليس المقصود أنك تبحث عن التجارب، فنحن نقول: «لا تُدخلنا في التَجارب»، ولكن عندما تأتيك التجربة تدخلها كما دخل المسيح التجربة، وكيف دخلها؟ بالصلاة بأشدّ لَجاجة، لكي يُعلِّمنا ماذا نصنع في التجارب. للأسف، فإن التلاميذ لَم يفهموا الدرس وناموا، ففشلوا في الامتحان. ولكن الذي لا ينام ويسهر مع المسيح ولو ساعة واحدة في الصلاة عند التجربة، هو الذي سيتمجّد. «إن كنا نتألَّم معه، فلكي نتمجَّد أيضًا معه»... هذا هو الذي سينجح، وهذا هو الذي سيتَربَّى رهبانيًا ويتقدَّم في حياته الروحية من درجة إلَى درجة.

لِماذا لا نتقدَّم ؟

أمَّا الذي يَهرب من التجربة، فهذا سيبقى على طول "مَحلك سرْ standstill" في المكان الذي فيه دون أي تقدّم، دون أي تغيير، عيوبه موجودة فيه كما هي، تَمامًا مثل اليوم الذي دخل فيه الدير، نفس كمية العيوب لَم تتصفَّ منه، وبالتالي لا ينفتح أمامه مَجال الحب الإلَهي.

يسأل نفسه لِماذا لا أتقدَّم مثل الآخرين؟ ويسأل كيف أُحب ربنا؟ ويشعر أن كل الكلام الروحي طلاسم، لا يقدر أن يفهمه، ولا يقدر أن يَحسّ به. لِماذا؟

لأن الحب الإلَهي لا يُعلَّم بالكتب ولا بالوعظ، بل بالدخول في الحياة العملية، بأن يدخل الإنسان في مَجال إماتة الذات وقطع الهوى ورفض المشيئة، وبالتالي "ينفتح له مَجال الحب الإلَهي ليجري فيه جريًا".

الشركة مع المسيح:

كل هذا يتمُّ في شركة مع المسيح.

الحب الإلَهي ليس مُجرَّد عواطف، ليس تأمّلات، ليس فلسفة، ليس مبادئ روحية تأتي بالتأمّل.

الحب الإلَهي هو الدخول مع المسيح عمليًا في ميدان الصليب، الذي هو نفسه ميدان الحب الإلَهي. هذا هو ذاك.

فالذي يرفض الدخول في ميدان التجربة أو الصليب أو ميدان الاحتكاكات، يبقَى خارج الطريق، ويكون هو الذي حَكَم على نفسه بِذلك.

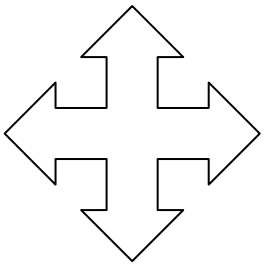

موقف الراهب من الدالة والمزاح[٢٤]

⊕ **قراءة في رسالة القديس أنطونيوس رقم ١١، الفقرة الأخيرة:**

[وأنا أبوكم، أطلب أيضًا لأجلكم أن تبلغوا هذا المقدار الذي لنا، لأن كثيرين من الرهبان الذين في المَجامع لَم يبلغوا إلَى هذا المقدار. وإذا أردتُم، يا أولادي، أن تبلغوا إلَى هذا المقدار، الذي هو الكمال، فابتعدوا من كل الذين يَحملون هذا الاسم الذي للرهبنة والبتولية، ولا يوجد فيهم هذا النظر والإفراز. لأنكم إن خالطتموهم، لا يدعونكم تتقدَّمون، بل يُطفئون الحرارة منكم. لأن ليس فيهم حرارة بل برودة، وهم يسيرون بِحسب إرادتِهم. فإذا أتوا إليكم وتكلَّموا معكم بكلام هذا الدهر، وبِما يُوافق إرادتَهم، فلا توافقوهم. لأنه مكتوبٌ: «لا تُطفئوا الروح، ولا تَحتقروا النبوّات» (١تس٥: ١٩-٢٠). واعلموا، يا أولادي، أن الروح لا ينطفئ مِنَّا إلاَّ بالكلام الباطل والمزاح وأعمال أخرى كثيرة، لا يُمكنني أن أكتبها واحدة فواحدة. فإذا ما نظرتُم هؤلاء الناس، فلا تَحتقروهم؛ لكن اِصنعوا معهم الخير، ولا تُخالطوهم لئلاّ يَجذبوكم إلَى خلف].

هنا القديس أنطونيوس يُحذِّر أولاده من الأشياء التي تُطفِئ الروح.

وما هي؟ الكلام الباطل، والمزاح، وأعمال أخرى مثلها كثيرة.

---

(٢٤) حديث بتاريخ: ٢٠٠٤/١١/١٢ ، رقم الشريط: ١١١

ولكن في نفس الوقت يَهمّ القديس أنطونيوس أنَّ المَحبة لا تُجرَح. [فإذا ما نظرتُم هؤلاء الناس، فلا تَحتقروهم، لكن اِصنعوا معهم الخير]. ولكن لا تُوافقوهم في المزاح والكلام الباطل.

قول من البستان:

[سأل أخٌ شيخًا: لِماذا نتعب نَحن في النسك ولا ننال المواهب مثل الأولين؟ قال له الشيخ: كان في ذلك الزمان الحب الكثير، حيث كان كل واحد يَجرّ رفيقه إلَى فوق. أمَّا في هذا الزمان فقد قلَّ الحب، وصار كل واحدٍ يَجرّ رفيقه إلَى أسفل. ومن أجل ذلك لا ننال المواهب] (بستان الرهبان، قول ٧٧٥).

المقصود بكلمة الحب هو أولاً حب الله، فإذا كان شديدًا، ستجد أن كل واحدٍ يشدّ أخاه إلَى فوق، وأيضًا حب القريب؛ فإذا كانت مَحبتك لِقريبِكَ شديدة لا يُمكن أن تقول له كلمة تُعثره أو تُرجعه للوراء، ولكن سيكون كل همّك أن تقول له كلامًا تَشدّه به إلَى أعلى.

لذلك يَجب أن يكون كلامنا مُصلَحًا بِملح (كو٤:٦) بِحيث نَبنِي بعضنا بعضًا.

في سيرة القديس أنبا باخوميوس :

[قيل إنه في أحد الأيام سَمع الأب باخوميوس أحد الإخوة يُخاطب صبيًا قائلاً: الآن أوان العنب. فانتهره الأب قائلاً: هوذا أجساد الأنبياء الكذبة قد ماتت، ولكن أرواحهم الآن تطوف بين الناس تلتمس مسكنًا

فيهم. وأنتَ الآن لِماذا أعطيتَ للشيطان موضعًا لكي يتكلَّم من فمِكَ؟ أمَا سَمعتَ الرسول قائلاً: «كل كلمة رديئة لا يَجب أن تَخرج من أفواهكم، بل لِتَخرج كل كلمة صالِحة لبناء الجَماعة لكي تُعطِي السامع نعمة»؟! ألا تعلم أن الكلمة التي قلتَها لا تبنِي رفيقك بل تَهدمه؟ ولِماذا نطقتَ بِها؟ ألَم يُكتَب نفسٌ بنفسٍ؟ ألا تعلم أن نفسك تُؤخَذ عوضًا عن نفسه؟ فإني الآن أشهدُ لكم أن كل كلمة بطّالة أو استهزاء أو لعب أو مزاح ... هذه كلها زنىً للنفس[٢٥] ولكي أبيِّن لكم مقدار غضب الله الذي يكون على ذلك الإنسان الذي يتكلَّم بالكلامِ البطَّال، وبكلام الاستهزاء، أقول لكم المثل الآتي: دعا رجلٌ غنِيٌّ أناسًا إلى وليمةٍ لكي يأكلوا ويشربوا ويفرحوا[٢٦]. وفي أثناء الوليمة قام بعض المتكئين يَمزحون، فكسَّروا الأواني الموجودة في بيت ذلك الغني. تُرَى ماذا عمل الغني؟ إنه غضب عليهم ووبَّخهم قائلاً: يا عديمي الشكر، لقد دعوتكم لكي تأكلوا وتشربوا، فكيف تَمزحون وتكسرون الأواني. هكذا يغضب الرب على أولئك الذين دعاهم لِدعوته قائلاً لهم: دعوتكم لكي تتوبوا عن خطاياكم وتَخلصوا، ولكنكم هدمتم نفوسَكم ونفوس الذين جمعتُهم لي ليخلصوا، بالضحك والكلام الباطل] (بستان الرهبان، قول ٨٠).

---

(٢٥) يقصد بكلمة زنى للنفس: أن الراهب الذي دَخل الدير كرَّس نفسه فِي البتولية لتكون عروسًا للمسيح. نفسه أصبحت عروسًا للعريس السماوي. لذلك كل ما يُبعدنا عن العريس السماوي يُعتَبَر زنى للنفس.

(٢٦) بالطبع كان فِي ذهنية الأنبا باخوميوس مثل المسيح: «يُشبه ملكوت السموات ملكًا صنع عُرسًا لابنه وأرسل عبيده ليدعوا المدعوين» (مت٢٢). هذه هي حقيقة حياتنا المسيحية، نَحن مدعوون لِعُرس الخروف.

كلام الأنبا باخوميوس يبدو شديدًا بالنسبة لكلمةٍ سَمعها من راهب يقول لآخر: الآن أوان العنب. طبعًا ملابسات القصة غير معروفة، ولكن غالبًا كانت هذه الكلمة تُشجِّع شهوة الأكل أو السرقة. وعلى الأقل في نظر أنبا باخوميوس كانت هذه الكلمة تُبعِد قائلها وسامعها عن حياتهما الروحية.

⊕ لِماذا أرجع إلَى وراء ؟

قد يقول قائلٌ: أنا لا أعرف، ما الذي جرَى لي؟ أنا عندما كنتُ في العالَم كنتُ مهتمًّا جدًا بِحياتي الروحية، ولكن عندما دخلتُ الدير وجدتُ نفسي أُهَذِّر، وبدأتُ أرجع للوراء. لِماذا هذا؟! ما الذي حدث؟!

الذي حدث أن النفس عندما كانت في العالَم كانت تُقاوم الجو المُحيط بِها (العثَرات)، فكان الإنسان منتبهًا لنفسه ولخلاصه وماسكًا في المسيح بكل قوته. ولكن عندما دخل إلَى الدير، بدأ يتَراخَى، بسبب أنه قد استقرَّ في اللاشعور إحساس بالاطمئنان، وأنه عايش في مساكن القديسين، وأنه بلغ ميناء الخلاص. فهذه أعطت داخله إحساسًا بالاطمئنان، وبدأ يتَراخَى من جهة خلاصه، وبدأ يَمزح ويفقد جدِّيته في التمسُّك بالله.

ما هو العلاج ؟

العلاج هو أن الشخص يُخرِج من نفسه هذا الاطمئنان الكاذب، هذه الفكرة الخطأ.

يقول البستان:

> [**لا تظنّ أن معاشرات القدِّيسين وحدها، أو السُكنَى في مواضع الصدِّيقين فقط تنفعك، بل أُرفض جَميع هذه الخرافات** (اعتَبْرها خرافة: أن تظن أنك بمُجرَّد أن دخلتَ الدير، فتراب القدِّيسين سيخلِّصك ... هذه خرافات في نظر البستان). **لأنه لا تُؤخَذ أجرة المُجاهدين لتُعطَى للكسلان، لأن الأخ لا يفدِي فداءً. إذ يقول: "إنك تُجازي كل واحدٍ حسب عمله"**] (قول ٩١).

لذلك، فلا تظنّ أنه بِمجرد أنك ابن لأنبا أنطونيوس أو أنبا مقار أو ساكن في ديارهم، فلك أن تكون مطمئنًا على خلاصك. هذه خرافات في نظر البستان. لكن كل واحدٍ سوف يُحاسَب على حسب عمله وليس بِحسب عمل غيره.

هذه تُذكِّرنا بما قاله المسيح لليهود: «لا تفتكروا أن تقولوا في أنفسكم لنا إبراهيم أبًا، لأني أقول لكم إن الله قادرٌ أن يُقيم من هذه الحجارة أولادًا لإبراهيم» (مت٣:٩). «لو كنتم أولاد إبراهيم لكنتم تعملون أعمال إبراهيم» (يو٨:٣٩). وترجَمة ذلك بالنسبة لنا هي:

لو كنتم أولادًا لأنطونيوس ومقاريوس لكنتم تعملون أعمال أنطونيوس ومقاريوس.

فلا تطمئن أن مُجرَّد وجودك بالدير سيُخلِّصك، ولكن عليك أن تكون حريصًا أن تسلك نفس المسلك الذي سلكه آباؤنا مؤسِّسو الرهبنة.

خطورة الدالة والمزاح:

قول للأنبا أغاثون:

> [جاءه أخٌ مرةً وقال: يا أبي أريدُ أن أسكن مع أخٍ، فارسم لي كيف أُقيم معه؟ فقال له الشيخ: كُنْ معه دائمًا كمثل اليوم الذي بدأتَ سكناك عنده[٢٧]. واحفظ غربتك هكذا كل أيام حياتِكَ، وإياكَ أن تكون بينكما دالَّة. فقال له الأخ: ولِماذا نتحاشى الدالَّة؟ أجابه الشيخ: إن الدالَّة تشبه ريح السموم، عند هبوبِها يَهرب الناس جَميعًا من أمامها. وهي تُهلك ثِمار الأشجار. فقال الأخ: أبِهذا المقدار تكون الدالَّة رديئة؟! أجابه أنبا أغاثون: لا يُوجَد وجع آخر أردأ منها، لأنها مصدر كل الأوجاع]

(البستان، قول ١٣٥).

وقال أيضًا:

> [إن الدلال والمزاح والضحك أمور تُشبه نارًا تشتعل في قصبٍ فتحرق وتُهلِك]

(قول ١٣٦).

ما سبب هذه الأقوال؟ ما السبب في أن أنبا أغاثون يُحذِّر بهذه الدرجة من الدالَّة والمزاح والضحك؟

خطورتُها ليست في نفسها، خطورتُها في النتيجة المترتِّبة عليها، ألا وهي: أنها تُبدِّد مِنَّا الإحساس بالوجود في حضرة الله، تُبدِّد مِنَّا مَخافة الله.

---

(٢٧) أول يومٍ تدخل فيه الدير تكون حريصًا جدًا، ومتمسِّكًا بمَخافة الله، وشاعرًا أنك دخلتَ فِي بيت الله، بيت القديسين، تسلك كما يَحق للدعوة التي دُعيت إليها.

الثبات في المسيح:

الإحساس بأننا موجودون في حضرة الله هو رأس مال الراهب:

«**الآن، أيها الأولاد، اثبتوا فيه، حتى إذا أُظهِرَ يكون لنا ثقة ولا نَخجل منه في مَجيئه**» (١يو ٢:٢٨).

«**اِثبتوا في وأنا فيكم**» (يو ١٥:٤).

الثبات في المسيح هو رأس مال الراهب، هو الأساس الذي تُبنَى عليه حياتنا الروحية. فكل فضيلة فينا كمسيحيين ليست مجرد فضيلة أخلاقية، ولكنها مبنية على وجود المسيح فينا ونَحن فيه. ثباتنا في المسيح هو أساس كل فضيلة وأساس النُموّ في الحياة الروحية كلها.

فإذا كان هناك شيء يُبدِّد إحساسنا بِحضرة المسيح أو إحساسنا بوجودنا في حضرة الله، فهذا الشيء مهما كان صغيرًا أو تافهًا يكون من أخطر ما يُمكن. لِماذا؟ لأنه يصيب موضعًا حيويًا في حياتنا الروحية.

هذا هو سبب شدَّة القديس أنبا باخوميوس والقديس أنبا أغاثون بالنسبة للدالَّة التي اعتبَرها مثل ريح السموم ولا يوجد وجع أردأ منها، وتُشبه نارًا تشتعل في قصبٍ فتحرق وتُهلِك.

أضرار الضحك:

القديس يوحنا ذهبي الفم يقول في البستان:

[من أجل أننا لا نتحفَّظ من الزلاّت الصغار، فإننا نقع في الكبار. فمثلاً ضحك إنسانٌ في غير وقت الضحك، فجَرَّ غيره إلَى الضحك]

(البستان، قول ٥٢٣).

كما قال أيضًا:

[ما هو الضحك؟ وما هو ضرره؟ بالضحك تبدأ مَخافة الله في أن تنقطع ويتولَّد من الضحك المزاح ومن المزاح الأقوال القبيحة، ومن هذه تكون الأفعال المذمومة. فالعدو المُخادع يُسهِّل علينا الزلاّت الصغار، ومنها يُدخلنا إلَى الخطايا الكبار. ومن ههنا يقودنا إلَى اليأس. فبهذا التدرّج يُدخِل إلينا الأمور مستورة. فينبغي لنا أن نطرد هواجسه من مبادئها، ولا نتهاون بالصغار حيث يكمن العدو فيها، ومنها يَجرّنا إلَى الكبار. وإلاّ فلو كان يُحاربنا ظاهرًا عيانًا، لكان قتاله سهلاً علينا، وقهره متيسِّرًا لدينا[٢٨]، لكنه يعمل لنا كمينًا وفخًّا، لا نقدر على الخلاص منه سريعًا، فإن تيقَّظنا أفسدنا عليه كلَّ حيله ...] (قول ٥٢٤).

⊕ لاحظ بداية هذا الكلام، أنه من الضحك تبدأ مَخافة الله تنقطع. هذه هي النقطة الحيوية. مَخافة الله، التي يُعبِّر بها الآباء عن الإحساس بـ "الوجود في حضرة الله"، والتي ترادف تَمامًا: "الثبات في المسيح، وثبات المسيح فينا".

هذا هو رأس مالنا، هذا هو الذي تُبدِّده مِنَّا الخطايا الصغار . فإن فقدنا نَحن رأس مالنا، يسهل على العدو أن يُغمِّي أعيننا ويسوقنا في أي مكان يشاء.

---

(٢٨) بِمعنَى، لو أنه قال لنا: تعالَ اِسرقْ، أُقتلْ، اِزنِ ... كان من السهل أن نقاومه، لأن هذه واضحة أنها ضد وصية الله، وأنها خطايا كبيرة.

المعاشرات الرديئة:

قال شيخٌ:

> **[مَنْ اجتمع بإخوة عمَّالين، فلو كان هو غير عمَّال، فإن لَم يتقدَّم إلَى قدّام، فلن يتأخَّر إلَى وراء. كذلك مَنْ يَجتمع بإخوة متهاونين، فإن كان عمَّالاً، فإن لَم يَخسر فلن يربَح. الساقط فلينهض لئلاّ يَهلك، والقائم فليتحفَّظ لئلاّ يسقط]** (قول ٦٢٤).

وقال آخر:

> **[إذا أنتَ مشيتَ مع رفيقٍ صالِحٍ من قلايتك إلَى الكنيسة، فإنه يُقدِّمك ستة أشهر. وإذا مشيتَ مع رفيقٍ رديء من قلايتك إلَى الكنيسة، فهو يُؤخِّرك سنة]** (قول ٦٢٥).

قال أنبا بيمن:

> **[وتَمام هذا كله أن تسكن مع جَماعة صالِحة وتتباعد من جَماعة السوء]** (قول ٦٠٤).

ونُكرِّر ما قلناه: لا تطمئن لِمجرَّد وجودك في وسط جَماعة رهبانية، بل أُرفض هذه الخرافات، وامسك بكل قوتك بالمسيح وتقدّمك الروحي ولا تتَراخَ.

مَحبة الإخوة:

ولكن، هل معنى هذا الكلام أن يكون الإنسان جادًا على الدوام ومُعبَّسًا، ولا يقول أبدًا أية كلمة مرحة؟!

طبعًا لا، لا تكن مشدودًا. كُنْ مُحبًا لإخوتك، بشوشًا باستمرار مع إخوتك.

وإذا رأيتَ شخصًا حزينًا تُحاول أن تُشجِّعه بكلمة مرحة. ولكن اِجعل مرحك مرحًا روحيًا. يعني كلمة من البستان تشدّه إلَى أعلَى، وليس مرحًا عالَميًا تشدّه إلَى أسفل وتُبدِّد منه الإحساس بالوجود في حضرة الله.

⊕ وما يُعطيكَ الكلمة في أوانِها الحسن، هو أن تكون دائمًا مُمتلئًا، فتستطيع أن تُغني الآخرين.

إبصالية الأربعاء: تقول عن الرب يسوع إنه هو مجرى المياه الحيَّة، والأشجار الثابتة عنده تُعطي ثمرة كاملة. ثم تقول في آخرها: [إذا **ما لازمناه** في إنساننا الداخلي فهو يَجعلنا أغنياءَ حتى نُعطي آخرين].

وطبعًا الغِنَى المقصود ليس هو الغنى المادي، لذلك تُضيف الإبصالية: **[ليست أموال هذا العالَم الزائل هي التي نطلبها بل خلاص نفوسنا بتلاوة اسْمه القدوس]**.

«**من فضلة القلب يتكلَّم الفم**» (مت١٢: ٣٤).

«**الإنسان الصالِح من الكنز الصالِح في القلب يُخرِج الصالِحات، والإنسان الشرير من الكنز الشرير يُخرِج الشرور**» (مت١٢: ٣٥).

فالذي يَجعلك تلقائيًا تقدر أن تقول كلمةً تُشجِّع بِها أخاك وتَشدُّه إلَى فوق، هو أنك من الداخل تكون مُمتلئًا روحيًا. والذي يَجعلك مُمتلئًا داخليًا هو وجود علاقة مستديمة لك بالرب. وأسهل وسيلة ليكون لك علاقة مستديمة بالرب هي أنك لا ترخي اسم يسوع من داخل قلبك. اِمسك باسم يسوع في داخل قلبك بكل قوتك، فهو يَجعلك غنيًا من الداخل حتى تُعطي آخرين.

موقف الراهب من أخطاء الآخرين[٢٩]

سؤال: هل يجب أن أحتفظ بمفاهيمي عن الرهبنة ثابتة؟ أم أُغيّرها لأتمشّى مع الأوضاع الخارجية ولِما أراه معاشًا حولي، حتى إن كنت فيما سبق اعتبرته خطأً؟

الجواب: عمومًا إن المفاهيم الرهبانية لا يجب أن تتغيَّر مع تغيُّر الأوضاع الخارجية أو نتيجة للعثَرات التي يُمكن أن يراها الراهب.

الصعوبة التي يُواجهها معظم المبتدئين في هذا المجال تتلخص في أنه يَجب أن يُجاهد لكي لا يدين، حتى لا يقع في الدينونة.

وهنا يواجهنا **السؤال المهم** وهو:

عندما لا أدين هذا الخطأ، ألا يعني هذا أنني أعتبِر هذا الوضع صحيحًا؟ وبالتالي أقول على الخطأ أنه صح وعلى الصح أنه خطأ، أي أُغالط نفسي، أو أُغيِّر من المبادئ والمفاهيم الرهبانية المستقاة من البستان، وألغيها بسبب ما هو حادث؟!

التمييز بين الخطأ والشخص :

من المهم جدًا أن الراهب يُميِّز بين العمل الخطأ والوضع الخطأ وبين الشخص. الإنجيل واضح، إنه يقول: ليس لنا الحقّ في أن ندين شخصًا أو نعتبِره مُدانًا أو خاطئًا. ولكن بالنسبة للعمل كعمل وكوضع، لابدّ أن يكون لدَيَّ تَمييز بين الصح والخطأ، أي يكون عندي ما يُسمِّيه الآباء الإفراز (الذي اعتبَره القديس أنطونيوس أهمّ ما في الطريق الرهباني).

---

(٢٩) حديث بتاريخ: ١٥/١٠/٢٠٠٤ ، رقم الشريط: ١٠٩

فالعمل أحكُم عليه: هل هذا صح أم خطأ. ولكن الشخص الذي فعل هذا العمل، هل هو غلطان أم لا، هذا شيء خارج تمامًا عن إدراكي، ولا أحد يقدر أن يُقرِّره إلاَّ الذي خلق هذا الشخص، والذي وحده يعرف ما هي إمكانياته ولأي سبب قام بِهذا التصرُّف.

هذه هي النقطة الجوهرية التي نريد أن نُركِّز عليها، أننا يَجب أن نُميِّز باستمرار بين الوضع الخارجي المرئي وبين الأشخاص ونيَّاتهم وإمكانياتهم ومسئوليتهم. فالوضع الخارجي من الجائز لنا بل من الواجب علينا أن نحكم عليه ونعرف أن هذا الوضع صح وهذا خطأ، ولابدّ أن نَحكم حكمًا صائبًا، ولكن دون أن نحكم على الأشخاص كأشخاص. فيُمكن جدًا أن يكون الوضع خطأ، والشخص الذي وقع فيه لا نعتبِره مخطئًا، أو ربما يكون هذا الخطأ بالنسبة له هفوة، والله يتغاضى عنها. وقد يكون الله مسرورًا بهذا الشخص أكثر مني بسبب فضائله الأخرى، وربما يكون الله استأمنه على مواهب أخرى لا أراها أنا، ويستجيب لصلاته، لأن له عبادة قوية مُختبئة داخل قلبه، وأنا لا أعرف عنها شيئًا، فأنا لا أعرف ما يُقدِّمه هذا الشخص سرًّا داخل قلايته.

فإذا رأيتُ إحدى هفواته أو أخطائه، فهذا أمر طبيعي، لأنه ليس مولود امرأة يتَزَكَّى أمام الله، وليس أحد بلا خطيئة ولو كانت حياته يومًا واحدًا على الأرض. إذًا إن رأيتُ هفوةً من هفوات أحد إخوتي أو أحد آبائي، فهذا لا يعني إطلاقًا أنه أقلّ مِنِّي، ولا يَجعلني أحتقره أو أدينه، بل أعتبِره أنه ربما يكون أفضل مِنِّي ومقبولاً أمام الله أكثَر مِنِّي، وعنده فضائل مُختبئة أنا لا أراها، وربما يستأمنه الله على مواهب لا أدري بها، وأمَّا أنا فإني أعرف أخطائي الكثيرة.

الراهب وأفكار الدينونة[٣٠]

سؤال:

- كيف أقاوم أفكار الدينونة؟
- هل أقول عن التصرفات الخاطئة إنها صحيحة وبالتالي يُمكنني أن أتَمَثَّل بها؟
- كيف أحكم على التصرُّف الخطأ دون أن أقع في فكر الدينونة لأن الرب أعطانا وصية: «لا تدينوا لكي لا تُدانوا»؟

الجواب:

بدايةً، يلزم جيدًا أن نفرِّق بين التصرُّف وبين الشخص. بِمعنى أن أحكم على التصرُّف أنه تصرُّف خطأ، لكن هل الشخص مُخطئ أم لا، هذا أمر لا يُمكنني أن أعرفه، لأنه ربما يعمل هذا التصرُّف بنية سليمة، وربما يعمل هذا لخدمة غيره، وهو لا يعمله لأجل نفسه.

مسئولية الشخص لا يستطيع أحد أن يُحدِّدها بالضبط، الله الخالق هو وحده الذي يعرف كل واحد وخبايا نفسه، وتكوينه النفسي والفكري، وما تربَّى عليه من الصغر، والظروف والأسباب والنيات التي دفعته إلى هذا العمل... إلخ. مَجموعة العوامل هذه كلها أنا لا أعرفها، وبالتالي يستحيل أن أحكم على أحدٍ بِموجبها. يُمكنني فقط أن أحكم على التصرُّف أنه غلط، لكن هل الشخص مُخطئ أمام الله أم لا، هذا شيء لا يُمكنني أن أعرفه.

---

(٣٠) حديث بتاريخ: ٢٠٠٤/٥/٢١ ، رقم الشريط: ١٠٤

الذي يساعدنا أكثر على عدم دينونة الآخرين، الـمَحبة. مَحبتي للآخرين تجعلني أتساهل جدًّا في الحكم على تصرفاتهم، بينما عدم الـمَحبة تجعل الإنسان على النقيض الآخر، عنده استعداد تلقائي لا شعوري لِملاحظة أخطاء الآخرين وعدم ملاحظة أخطائه هو. هذا ميل طبيعي تلقائي في طبيعة الإنسان، من بعد ما سقطت بالخطيئة الأولَى.

قصة الراهب الذي حَمل كيس الرمل المثقوب وأخذ يقول هذه خطاياي تجري من وراء ظهري دون أن أراها وقد جئت لأدين خطايا أخي (البستان قول ١٧٨)، هي قصة تصوِّر لنا تمامًا حالة الإنسان الطبيعي العادي الذي لا يرى أخطاءه وإنَّما يرى أخطاء الآخرين ويلاحظها بدقة ... الجَمَل لا يرى أن ظهره مُحدَّب بينما يرى بقية الجمال ظهرها مُحدَّب ومعيوب.

يلزم إذن أن نجاهد لكي نلاحظ أخطاءنا ونتعرّف عليها، ونغض النظر عن أخطاء الآخرين، وهكذا نقاوم الاستعداد الطبيعي الموجود عندنا في طبيعتنا. ثم إنني إذا أحببتُ الآخرين فلن أُلاحظ أخطاءهم، والعكس صحيح بحسب الـمَثَل الشائع: ”الذي تحبه تبلع له الزلط، والذي تكرهه تتمنى له الغلط“.

أو بلغة الإنجيل «المحبة تستُر كثرةً من الخطايا» (١بط٤:٨)، فالذي يُحب أخاه لا ينظر إلَى خطاياه ولكنه يستُرها ويتغاضى عنها بسهولة.

مبدأ آخر يقوله الآباء الشيوخ: [لا علاج للدينونة إلا بالدينونة]، بِمعنى أن أدين نفسي إذا ما وردت على ذهني أفكار دينونة. أقول في نفسي ”ألعلي أنا منزّه من الخطأ؟ ألستُ أنا مخطئًا في كذا وكذا وكذا...؟“. فالمحبة تجعلني أتساهل ولا ألاحظ خطأ الآخر. والقديسون بقدر ما كانوا في صرامة كبيرة من جهة أنفسهم بقدر ما كانوا متساهلين ومتسامِحين بالنسبة للآخرين:

♦ يُحكَى عن القديس أنبا مقار الإسكندري، أن راهبًا مريضًا طلب منه فطيرة، فذهب إلى الإسكندرية سيرًا على الأقدام لكي يُحضر له الفطيرة. ربَّما لو كنا في مكان هذا القديس، لوقعنا في إدانة هذا الأخ المريض واعتبرنا هذا الطلب نوعًا من (الدلع) بحجة المرض، ولكن القديس الذي كان صارمًا جدًا مع نفسه وكان من أكثر النساك تشدّدًا في نسكه، لَم يجد أية غضاضة في تحمُّل تعب السفر سيرًا على الأقدام من أجل أن يُنيِّح أخاه براحة تُعتبر غير ضرورية.

♦ أيضًا أنبا بيمن سألوه ماذا نعمل لو رأينا أخًا ينام في الكنيسة، فقال: لو أنني أنا الذي رأيته، لكنتُ أجلس بجواره وأسند رأسه حتى يأخذ راحته. مع أن أنبا بيمن نفسه كان يظل طول الليل واقفًا على قدميه يصلِّي، فقد كان متشدِّدًا مع نفسه ومتسامِحًا ومتساهلاً مع الآخرين.

♦ القديس أنبا مقار الكبير أيضًا: عندما كان قد شاخ حاول الإخوة أن يُنيِّحوه ويُقدِّموا له كأسًا من النبيذ، فكان يأخذ منهم ويتساهل معهم لكي لا يكسر نفوسهم وكأنه يمنعهم من أن يشربوا هم أيضًا معه، وفي المقابل كان يقسو على نفسه ويصوم يومًا كاملاً عن شرب الماء عن كل قدح نبيذ يشربه.

هذه الأمثلة التي وردت في البستان، تُصوِّر لنا كيف كان القديسون يوازنون الميل الطبيعي الذي في الإنسان. فالميل الطبيعي الذي فينا يدفعنا لأن نتساهل مع أخطائنا، لا ننظر إليها بل ولا ندري بوجودها، بينما نكون صارمين من جهة ملاحظة أخطاء الآخرين. لذلك، كان القديسون منتبهين لِهذا العيب الموجود في طبيعتنا الساقطة ويوازنونه بأن يكونوا على العكس صارمين جدًّا من جهة أنفسهم وعيوبهم، ومتساهلين جدًّا من جهة أخطاء الآخرين.

الراهب والنميمة[٣١]

سؤال:

كيف يُمكن الهروب من راهب يريد أن يتحدَّث بالنميمة على الآخرين دون أن نُحرجه أو نُشعره أنه مُخطئ ؟

الجواب:

الإجابة من البستان:

> **[عبِّس وجهك لدى مَن يبدأ في أن يقع في أخيه قدّامك، فإنك إن فعلتَ هذا تكون مُتحفِّظًا لدى الله]** (قول ١١٠٣).

فالبستان لا يخاف أن يُحرج الأخ الذي يتكلَّم بالنميمة أو يُشعره بأنه مُخطئ، بل على العكس: هذه أفضل خدمة يُمكن أن تعملها له، أنك تُشعره أن هذا الكلام ليس صائبًا، بل يضرُّه وليس له لزوم.

هذه الخطيئة هي أخطر من أفكار الدينونة. فأفكار الدينونة تكون في فكرك وحدك، فتدين الآخرين داخلك. ولكن عندما تبدأ وتتكلَّم بِهذه الأفكار تكون هذه هي النميمة.

كنّا كلما نعترف على أبونا متى، نجده يُطيِّب خاطرنا ويرفع من معنوياتنا، ويُشعرنا بأن خطايانا طفيفة، إلا في حالة خطيئة الدينونة، فكان الأب لا يتساهل أبدًا مع هذه الخطيئة.

---

(٣١) حديث بتاريخ: ٢٠٠٥/٣/٤ ، رقم الشريط: ١٢٠

خطورة خطيئة النميمة:

هذه الخطيئة خطورتها على ٤ مستويات:

المستوى الأول: وهو أخطر مستوى: أنها مُوجَّهة ضد وحدة الجسد، وبالتالي ضد صاحب الجسد، أي ضد المسيح شخصيًا. فأن يتكلَّم أحد وسط الجَماعة ضد شخص آخر، فتصرُّفه هذا يُفتِّت الجَماعة، يَهدم روح الشركة. والروح القدس هو روح الوحدة والشركة، لذلك فهذه الخطيئة مُضادة ومقاومة لعمل الروح القدس مباشرةً. فأي خطيئة تَهدم التوافق والتَرافق بين الأعضاء، أكثر من يتألم بها هو رأس الجسد.

لذلك هذه الخطيئة خطيرة جدًا، لأنها مُوجَّهة ضد المسيح شخصيًا. الرب قال لبولس: لِماذا تضطهدني؟ مع أن بولس لَم يكن يضطهد المسيح، ولكنه كان يضطهد تلاميذ المسيح. لذلك هذه القصة جعلت القديس بولس لا يكفّ طوال رسائله من اعتبار الكنيسة أنها جسد المسيح، وهو الرأس ونحن الأعضاء. ليس هناك فرق بين الجسد والرأس، ولكن الجسد متصل بالرأس، «وجعله رأسًا فوق كل شيء، للكنيسة التي هي جسده» (أف١: ٢٢-٢٣). وقد تكرَّر هذا المفهوم كثيرًا في رسائله.

المستوى الثاني في خطورة خطيئة النميمة والدينونة هو أنك تضرّ مَنْ يسمعك. فبدلاً من أن تُخطيء أنت وحدك وتُتعب ضميرك وحدك – وكان الحري بك أن تُقاوم هذه الأفكار – إذ بكَ توقع أخاك معك فيها أيضًا.

يقول البستان:

> **[ويلٌ لِمَنْ يسقي أخاه كأسًا عكرة]** (قول ٣٨٩).

أي بدلاً من أن تكون أفكارك الملوَّثة خاصة بكَ وحدك، تأخذ هذه الكأس العكرة وتسقي أخاك بها.

«ويلٌ لذلك الإنسان الذي به تأتي العثرة» (مت١٨:٧).

وقال المسيح أيضًا: «من أعثر أحد هؤلاء الصغار المؤمنين بي فخير له أن يُعلَّق في عنقه حجر الرَّحى ويُغرق في لجة البحر» (مت١٨:٦). هذا أهون له من الوقوع في خطيئة تشكيك الإخوة.

> **[سأل أخٌ شيخًا قائلاً: «كيف نتعب نحن في النسكِ ولا ننال المواهب مثل الأولين»؟ قال له الشيخُ: «كان في ذلك الزمانِ الحبُّ الكثير حيث كان كلُّ واحدٍ يجرُّ رفيقَه إلى فوق، أما في هذا الزمانِ فقد قلَّ الحبُّ، وصار كلُّ واحدٍ يجرُّ رفيقَه إلى أسفل، ومن أجلِ ذلك لا ننال المواهبَ»]** (البستان، قول ٧٧٥).

فالذي يتكلَّم بالنميمة هو يشدّ رفيقه إلَى أسفل بدلاً من أن يشدّه إلَى أعلى بكلمة تبنيه. هو يسقيه كأسًا عكرة، وبالتالي يكون من الذين من قبلهم تأتي العثَرات. أمَّا أصل ذلك كله فهو عدم المحبة، ذلك لأن المحبة تُغطِّي كلَّ عيبٍ.

المستوى الثالث : هو أنك تضرّ نفسك، بِمعنى أن الخبرة تُبيِّن أن كل مَن يدين أخاه على خطيئة، النعمة تتخلَّى عنه، بِحيث أنه يُعرِّض نفسه للوقوع في الخطيئة التي

دان أخاه عليها. فأنتَ، عندما تدين غيرك، تضرّ نفسك بأن تَجعل النعمة تتخلَّى عنكَ فتسقط في نفس الخطيئة التي أنتَ تشمئز منها في أخيك، والتي أنتَ نفسك بدون النعمة لا بد أن تقع فيها بالتأكيد، إذ أن الذي يسندك هو النعمة.

المستوى الرابع في الذين يقع عليهم الضرر من هذه الخطيئة، وهو يُمكن أن يُعتبر أقل مستوى من جهة الضرر، هو الأخ الذي أنتَ تنم في حقِّه. أقول إنه أقل من يتضرر من ذلك، بل بالعكس إنه إذا انتبه ينال الطوبى: «**طوبى لكم إذا قالوا عليكم كل كلمة شريرة من أجلي كاذبين**» (مت٥: ١١). فهذا الأخ سوف يأخذ الطوبى، بالذات لو كان كلامك عليه كذبًا. بل وحتى إن كانت دينونتك له في أمور فعلها فإن سكت يُعتبر ذلك له اعترافًا، وأنت تكون مُدانًا كما يقول البستان:

> **[إن المشتومَ إذا احتمل، غُفرت له الخطيئةُ التي شُتم بها وصارت على الشاتم، مثل أن يُقال: يا سارق، يا كذاب، فقد جرى ذلك مجرى الاعتراف، فالمشتوم لما أُظهرت خطيئته وسكت واحتمل، فقد اعتُبر كأنه أقرَّ بها ودين عليها، أما الذي شتمه، فقد تحمَّل وزرها لكونه دان أخاه بذكرها، مع أنه قد أُمر بأن يُظهر خطايا نفسِه، ولكنه بالعكس أَظهر خطايا غيره]** (بستان الرهبان، قول ٥٩٠).

بسبب ذلك يوصي البستان: أن لا تتساهل مع الأخ الذي يُلزِمك أن تسمع منه كلام النميمة، بل تُعبِّس وجهك.

وربَّما يقول واحد: أنا لا أقدر أن أُعبِّس وجهي، هذه ليست شخصيتي. ولكن

على الأقل لا تردّ على مَنْ يتقوَّل بهذا الكلام. كُنْ ساكتًا، كأنك أصمّ، ولا تسمع شيئًا، وهو سوف يَحسّ، وسيحدث كما في قصة أخرى في البستان:

> **[إن أخًا من الإخوةِ جاء إلى آخر، وتحدَّثا بشأنِ أخٍ لا يحفظُ العفةَ، فأجاب الآخرُ وقال: «وأنا سمعتُ بهذا أيضًا». فلما مضى ذلك الأخ إلى قلايتهِ لم يجد فيها الراحةَ التي تعوَّدها. فقام ورجع إلى ذلك الأخ وضرب له مطانية قائلاً: «اغفر لي، فإني لم أسمع شيئًا عن ذلك الأخ». فقال له الآخر كذلك: «ولا أنا سمعتُ شيئًا». فلما ندما على ما قالا وجدا راحةً.]** (قول ٣٩٨).

فأقل شيء تعمله في مثل هذه الظروف هو أن لا تتكلَّم، كُنْ كأصمّ. وإذا أعطاك الله نعمة، فيمكنك أن تُعلِّق على الكلام بشيء إيجابي، فتقول عن الأخ الذي يدينه أخوك أنه مع هذا له ميزات وفضائل ويتعب كثيرًا بسبب محبته للمسيح.

وإذا لَم تقدر أن تقول هذا الكلام الإيجابي، فكُنْ ساكتًا، وسوف يَحسّ الشخص أنه يتكلَّم خطأ. فحتى ولو لَم يرجع ويضرب لكَ مطانية، فعلى الأقلّ سوف يَحسّ، والله سوف يعطيه توبة، وسوف يتوقف عن النميمة ولا يعود إلَى هذا الداء.

أهمية الزي الرهباني بالنسبة للراهب[٣٢]

سؤال: الرهبنة أساسًا شيء يتم داخل القلب، في علاقة مع المسيح. فهل الزي الرهباني مُجرَّد شكليات أم له علاقة بصميم جوهر حياة الراهب؟!

الجواب:

قول في البستان:

> **[قال شيخ: «إني رأيتُ قوةَ النعمةِ الإلهيةِ الحالة في عمادِ النورِ، هي كما هي، حالةً في وقتِ التسربل بالزي الإسكيمي، أما الذي يطرحُ عنه زي الرهبنةِ فلا حظَّ له مع المؤمنين، بل يُرتَّب مع جاحدي الإيمان، ويُعاقَب، متى لم يتب لله توبةً بالحقِ من كلِّ قلبهِ»]** (قول ٦٩٧).

إنه رأى عندما يلبس الراهب الزي الرهباني، نفسَ القوة الموجودة في سر المعمودية المقدَّسة تحلُّ على الراهب.

⊕ رسامة الراهب هي تجديد لقوة المعمودية. ما العلاقة بين الاثنَين؟ المعمودية هي أساسًا دَفْنٌ مع المسيح، شركة في الموت مع المسيح وقيامة معه لبدء حياة جديدة، خلقة للإنسان الجديد. هذا هو مُلخَّص المعمودية.

الرهبنة ليست شيئًا آخر، هي نفسها شركة في الموت مع المسيح والقيامة معه لِحياةٍ جديدة.

---

(٣٢) حديث بتاريخ: ٢٠٠٥/٤/٨ ، رقم الشريط: ١٢٤

لذلك، في طقس لبس الزي الرهباني ينام الأخ الراهب الجديد على الأرض كمثل الميت ويُغطَّى بسِتْر كما يفعلون مع الأموات ويصلّون عليه ضمن ما يصلّون أوشية الراقدين، ثُمَّ بعد ذلك يقوم لِحياةٍ جديدة ويأخذ اسْمًا جديدًا ويلبس ثوبًا جديدًا.

✝ ولكي نفهم معنى الثوب الرهباني لابد من العودة للأصول الأولَى للمعمودية. فقد كان المُعمَّد الجديد يَخرج من جُرن المعمودية ويُلبسونه ثوبًا أبيضَ جديدًا. فإلَى ماذا كان يشير هذا الثوب الجديد؟

الإجابة: «**لأن كلكم الذين اعتمدتُم بالمسيح، قد لبستم المسيح**» (غل٣:٢٧). فالمعمودية في جوهرها هي لبس للمسيح، ولذلك كانوا يرمزون لِهذا اللبس بثوب أبيض ناصع، إشارةً إلى أن المُعمَّد لبس المسيح.

«**اِلبسوا الرب يسوع المسيح، ولا تصنعوا تدبيرًا للجسد لأجل الشهوات**» (رو١٣:١٤)، فالمسيح يُلبَس في المعمودية. المسيح هو الإنسان الجديد. نحن نلبس الإنسان الجديد. هذا هو الثوب الأبيض.

ما هو الإنسان الجديد؟ هو المسيح فينا. «**فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيَّ**» (غل٢:٢٠). ولكن بداية الآية هي: «**مع المسيح صُلبتُ فأحيا لا أنا** ...»

هي شركة صلب وموت مع المسيح، حتى لا أعيش أنا فيما بعد، ولكن المسيح هو الذي يحيا فيَّ.

هذا هو معنى لبس الثوب الجديد: أننا لبسنا المسيح وأصبحنا لا نحيا نحن، ولكن هو يحيا فينا.

ولكن ثوب المعمودية أبيض، وثوب الراهب أسود!

لا يوجد فرق، لأن الاثنَين يشيران إلَى نفس الشيء: الشركة في الصلب والموت لأجل الشركة في القيامة.

إن الشركة في الموت مع المسيح تتضمَّن حتمًا قيامة معه، والشركة في القيامة مع المسيح تتضمَّن حتمًا الموت معه. هُما وجهان لنفس العملة.

«**حاملين في الجسد كل حين إماتة الرب يسوع لكي تظهر حياة يسوع أيضًا في جسدنا**» (٢كو٤: ١٠). هذا هو سرّ الرهبنة.

«حاملين في الجسد كل حين إماتة الرب يسوع»: باستمرار نُميت إنساننا العتيق، وعاداتنا القديمة، لكي نلبس المسيح ونعيش كما يَحقّ للمسيح الساكن فينا.

«**أميتوا أعضاءكم التي على الأرض**» (كو٣: ٥) جاءت مباشرةً بعد أن قال: «**إن كنتم قد قمتم مع المسيح، فاطلبوا ما فوق حيث المسيح جالس عن يَمين الله**» (كو٣: ١)، ثُمَّ الوجه الآخر للعملة يأتي في نفس الآية: «**فأميتوا أعضاءكم التي على الأرض**». لاحظ الموت والقيامة دائمًا يأتيان معًا.

فإن كنتَ تريد أن تعيش فوق، فلابد أن تُميت أعضاءك التي على الأرض.

فالثوب الرهباني هو نفسه ثوب المعمودية، هو أصلاً وأساسًا لبس الإنسان الجديد، هو أساسًا الشركة في موت المسيح، لِهذا نلبس أسود «**مع المسيح صُلبتُ**»، ولكن هو نفسه الشركة في القيامة مع المسيح، ولذلك ثوب المعمودية أبيض.

ويُقال في التقليد القديم لأديرتنا إن الآباء الشيوخ الرهبان كانوا يلبسون أبيض. ولكن اللون لا يفرق كثيرًا، إن الثوب الأبيض والأسود متساويان في مغزاهما. المهم أنَّهما يشيران إلَى الشركة مع المسيح في موته وقيامته. وهذا هو جوهر الحياة الرهبانية.

الراهب وحياة الانفراد والسكون[٣٣]

المفروض أن الراهب لا يحتاج أن يُكلِّمه أحد عن حياة الانفراد، فالراهب جاء إلَى الدير طلبًا للانفراد، طلبًا لأن يكون موناخوس ⲙⲟⲛⲁⲭⲟⲥ ، لكي يعيش متوحِّدًا.

علمًا بأن الانفراد ليس هو قيمة سلبية بل قيمة إيجابية؛ ليس هو بالأساس هروبًا من الناس، بقدر ما هو سعيٌ في طلب الالتصاق بالواحد.

الراهب يُدعى ⲙⲟⲛⲁⲭⲟⲥ ، لأنه واحد يلتصق بالواحد. «مَنْ التصق بالرب فهو روحٌ واحد» (١كو٦:١٧).

فكل كلامنا عن الانفراد وعن السكون والهدوء يرمي إلَى قيمة إيجابية، التي هي علاقتنا الشخصية الداخلية بالرب.

علاقة وثيقة بالله :

✝ مثالنا الأول والأعظم في الانفراد هو الرب يسوع المسيح نفسه. كان في كل مناسبة يترك الجموع ويَهرب منفردًا إلى موضع خلاء، ليس مُجرَّد تَمثيل، أي لِمجرَّد أن يُعلِّمنا. نعم صحيح أنه يريد أن يُعلِّمنا، ولكنه لا يُمثِّل لكي يُعلِّمنا، بل ينفرد عن احتياجٍ عميق لمُمارسة علاقته العميقة بالآب. كان يَجد فيها سروره وراحته وارتياحه في حضن الآب. «تاركًا لنا مثالاً لكي تتبعوا خطواته» (١بط٢:٢١).

---

(٣٣) حديث بتاريخ: ٢٠٠٤/١١/٢٦ ، رقم الشريط: ١١٢

أمثلة لانفراد الرب يسوع:

+ بعد شفاء حَماة سِمعان: «وفي الصبح باكرًا جدًا قام وخرج ومضى إلَى موضع خلاء، وكان يصلِّي هناك. فتبعه سِمعان والذين معه، ولمّا وجدوه قالوا له: إن الجَميع يطلبونك» (مر١:٣٥). كان المسيح يريد أن يُشبع أعمق رغبة داخل قلبه، التي هي مُمارسة علاقته السرِّية بالآب.

+ «فذاع الخبر عنه أكثر، فاجتمع جُموعٌ كثيرة لكي يسمعوا ويُشفوا به من أمراضهم، أمَّا هو فكان يعتزل في البَراري ويُصلِّي» (لو٥:١٥و١٦).

+ «وقضى الليل كلَّه في الصلاة لله» (لو٦:١٢).

+ «فلمَّا سَمع يسوع انصرف من هناك في سفينة إلَى موضع خلاء منفردًا» (مت١٤:١٣).

+ وبعد معجزة إشباع الجموع التي يتبعها إنجيل الستار: «وبعدما صرف الجموع صعد إلَى الجبل منفردًا ليصلِّي. ولمّا صار المساء كان هناك وحده» (مت١٤:٢٣).

+ وقبل اعتِراف بطرس: «فيما هو يصلِّي على انفراد، كان التلاميذ معه، فسألَهم ...» (لو٩:١٨).

+ في حادثة التجلِّي: «أخذ بطرسَ ويعقوب ويوحنا، وصعد إلَى جبلٍ ليصلي، وفيما هو يصلِّي، صارت هيئة وجهه متغيِّرة» (لو٩:٢٨و٢٩).

كل هذه أمثلة عن شغف الرب يسوع للخروج من وسط الناس لكي يعتَزل في

الأماكن المنفردة ويُمارس علاقته الحبية بأبيه.

الرهبنة قائمة أساسًا على التمثُّل بالمسيح في الأربعين المقدَّسة، والتمثُّل بالمسيح في طول حياته لـمَّا كان يَهرب من الجموع وينفرد لكي يُمارس علاقته بالآب.

لذلك نَجد كل آباء الرهبنة يتكلَّمون بإلحاح عن الانفراد:

الانفراد يُوصِّلنا إلَى نظر الله :

في الرسالة ١٧ للقديس أنبا أنطونيوس:

[مُخلِّصنا يسوع المسيح صار لنا مثالاً للبعد والانفراد بطلوعه الجبل وحده منفردًا ليصلِّي، وأيضًا غلبته لإبليس في البَرِّية لما حاربه. وهذا ليس لأنه كان عاجزًا أن يغلبه وسط الكثيرين، لكن حتى يُعلِّمنا أننا بالانفراد والهدوء نقدر أن نغلب أعداءنا وندرك الكمال. كما أن مُخلِّصنا لَم يُظهِر مَجده لتلاميذه أمام الناس، بل أخذهم وصعد إلَى جبلٍ وأراهم مَجده. وأيضًا يوحنا المعمدان كان في البَرِّية إلَى يوم ظهوره لإسرائيل ...

فاعلموا، يا أولادي الأحباء، فضيلة الانفراد، لأن ربنا يسوع المسيح بانفراده دفعات كثيرة جعل لنا رجاءً ثابتًا في مَحبة الانفراد. كما قال داود النبي: «لأنك أنتَ يا رب على الرجاء أسكنتني مُطمئنًا» (مز٤:٩). وإيليا النبي أيضًا الذي استحق الطعام الروحاني والاغتذاء من ملاك الرب، لَم يكن له ذلك في وسط الجموع، لا في مدينة ولا في قرية، بل في البَرِّية فقط.

فكل ما صار للقديسين من هذه وأمثالِها، «كُتِب لتعليمنا نَحن»

(١كو١٠:١١)، لكي نغِير من هؤلاء الذين أحبوا الانفراد الذي له استطاعة أن يُوصِّل إلَى الرب؛ لأنه عزاء عظيم ويَجعل الإنسان كاملاً. والذين أحبوا الانفراد بكل قلوبِهم وبكل ذواتِهم، صار لَهم شرفٌ ونورٌ أكثَر من سكان المدن والقرى.

فاجتهدوا إذًا، يا أولادي الأحباء بالرب، أن تثبتوا فيه كما ينبغي ليُوصِّلكم إلَى نظر الله، الذي هو الثاؤريا الروحانية، بنعمة ربنا وإلَهنا ومُخلِّصنا يسوع المسيح، الذي له المجد من جَميع الناطقين مع أبيه الصالِح وروح قدسه، من الآن وإلَى الأبد، آمين] (رسالة١٧:١١).

"الانفراد يُوصِّلنا إلَى نظر الله". هذا يُمكن أن نضعه كعنوان للرسالة ١٧ لأنبا أنطونيوس. ومُلخَّصها أن القديس أنطونيوس يُعرِّف أولاده بشهادات من العتيقة والحديثة أن الاتضاع الحقيقي لا يَحصل إلاَّ بعد نظر الثاؤريا، التي هي نظر الله.

موهبة عظيمة :

قول للقديس أنبا مقار من البستان:

[الوحدة والمسكنة عظيمتان، وليس شيء من المواهب يساويهما في القدر والكرامة، لأنهما يُقرِّبان إلَى الله. كما لا تُحصَى المواهب الموجودة داخلهما ، لأنهما يسودان جَميع الفضائل، وهُما في وسط جَميع المواهب يتلألآن، لأنهما مصدر أعمال القديسين، وجَميع القديسين وجدوا الله فيهما] (البستان، قول ٢٠١).

لاحظ هنا أيضًا القيمة الإيجابية التي في الوحدة: أن جَميع القديسين وجدوا الله في الوحدة والمسكنة.

القلاية تُعلِّمك كل شيء :

قول لأنبا موسى القوي (الأسود):

> [أضاف أنبا موسى أخًا، فطلب منه كلمة، فقال له: اِمضِ واجلس في قلايتك، والقلاية سوف تُعلِّمك كل شيء] (البستان، قول ١٧٧).

وفي نُسخة أخرى قال له:

> [اِذهب كُلْ واشربْ ونَمْ، ولكن لا تَخرج من القلاية، والقلاية سوف تُعلِّمك كل شيء]

بِمعنَى أن القلاية سوف تُعلِّمك كيف تصوم وتُصلِّي، وتُعلِّمك كيف تتصلّ بالمسيح، وكيف تتقدَّم روحيًا.

منفردين مع المسيح :

⊕ رُبَّما يقول أحد: إن حياتنا هنا مَجمعية، نعيش معًا، فهل معنَى هذا الكلام عن الانفراد أنه لا توجد رهبنة إلاَّ في مغاير منفردة؟!

نعم، نَحن نعيش معًا، في شركة مَجمعية، ولكن أيضًا كل واحد موناخوس منفرد مع المسيح.

فمن نظام الدير أساسًا: أنه لا يوجد إلاَّ كرسي واحد في قلاية الراهب. لا

يوجد شيء اسْمه تزاور لبعضنا البعض، أو أخ يذهب لأخيه ليتعزّوا معًا، ثُمَّ لابد أن يتطوَّر الحديث إلَى الحياة السابقة من قبل الرهبنة! هذا تَمامًا خارج نطاق الحياة الرهبانية، وهذه تُبَرِّد الراهب. إياكَ أن تظن أن هذه ستزيد حرارتك. رُبَّما تُعزِّيك وتُريحك مؤقتًا، ولكن تعود إلَى قلايتك وتقوم لتصلي فلا تَجد حرارة. لِماذا؟ لأن طاقتك قد استنفذتَها خارج القلاية، ولا تَجد دالة أمام المسيح. لِماذا؟ لأنك أخذتَ تعزيتك من طريقٍ آخر. فإذا أردتَ بعد ذلك أن تأخذ تعزيتك من المسيح، لا تَجد.

إذًا، كيف نُمارس الانفراد ونَحن نَحيا وسط مَجمع ؟

لا تتواجد خارج قلايتك. خُذْ قول أنبا موسى لكَ: لا تبرح قلايتك، والقلاية تُعلِّمك كل شيء.

لا تَخرج من القلاية إلاَّ فيما أنتَ مُكلَّف به. العمل المطلوب منك تَخرج له، الكنيسة، المائدة. وعدا ذلك اِعتبر أنه خروج إلى بَحر الهلاك. واعتبر قلايتك هي سفينة النجاة، هي فلك نوح، هي التي تَجد فيها الله، هي التي تَجد فيها التعزية، هي التي تَجد فيها الروح القدس. قلايتك هي التي تُمارس فيها رهبنتك، التي أنتَ أتيتَ من أجلها.

اِحذرْ من أن تَخرج من قلايتك دون أن تكون مُكلَّفًا بِهذا: الشغل، الكنيسة، المائدة.

اِحذرْ من التَمشِّي بلا هدف.

مصدر العطب هو الخروج للتمشية من أجل الفرجة والفسحة.

الذي يَخرج بلا هدف لا يكون له حارس.

ولكن طالَما أنتَ تَخرج بتكليف، فالنعمة تَحرسك لأنك تكون خارجًا بهدف البذل. هنا لابد أن تَحرسك النعمة، ويكون الزمن خارج القلاية هو للامتلاء. وحينما تعود لقلايتك تَجد طاقة للصلاة.

أمَّا إذا خرجتَ خارج قلايتك بلا هدف وبلا تكليف، تعود لقلايتك لا تَجد لَها أي طَعم. تقف للصلاة لا تَجد أية عافية، وتَجد نفسك فقدت الهدف ومعنَى الحياة. وتتساءل: لِماذا نَحن هنا؟ وما هي ضرورة هذا؟ وما هي الرهبنة؟!! تَجد نفسك فقدت الهدف والرؤية الصافية التي هي أهم شيء في الحياة الروحية بِحسب قول القديس أنطونيوس، ولا تعود ترى الأمور على حقيقتها الروحية.

اِغصب نفسك :

ورُبَّما يسأل واحدٌ: أنا أريد الخروج من القلاية لأني لا أستفيد منها، فلأذهب إلَى أخي في قلايته!

إن كنتَ أنتَ لا تستطيع أن تستفيد من الانفراد، فعلى الأقل لا تُفسد على أخيك هدوءه وانفراده واتصاله بالمسيح، فاحترامًا لأخيك لا تذهب إليه.

اِغصب نفسك لكي تَجلس في قلايتك حتى لو أنك لا تستفيد. وعندما يرى الله فيك هذا الاستعداد، أي هذا الإحساس أنك حريص على مصلحة أخيك، حريص على هدوء أخيك، عندما يرى الله هذا، يكون ثَمنها كبيرًا جدًا عند الله، فيتحنَّن عليك ويُعطيك أنتَ فضيلة أخيك لـمُجرَّد رؤيته أنك حريص على مصلحة أخيك.

لذلك، فهنا بالذات في مبنى المبتدئين، من المهم حرصًا على هدوء إخوتك أن

تَمشي في الطرقة بِهدوء؛ لا تُغلق بابك بقوة؛ لا تتكلَّم بصوتٍ عالٍ؛ ترفع رجلك وأنتَ سائر حتى لا تُحدِث صوتًا. كل هذا حِرصًا على هدوء إخوتك.

عندما يرى الله هذا الاستعداد داخل قلبك ومَحبتك لإخوتك وحرصك على تقدُّم إخوتك، لابد أن الله يعطيكَ فضيلة إخوتك.

⊕ هناك مبدأ عند أنبا مقار في عظاته مؤداه:

> **[أن الإنسان الذي يغصب نفسه في أية فضيلة، ليست هي أصلاً من طباعه، سبيله أن ينال هذه الفضيلة فيما بعد براحة]** (عظة١٩: ٣-٧).

ويستشهد أنبا مقار بالآية: «**ملكوت السموات يُغصَب**» (مت١١: ١٢).

فإذا لَم تكن لديك صلاة براحة، اِغصبْ نفسك على الصلاة. وحينما يراك الله أمينًا في الصلاة بتغصُّب، يتَراءف عليك ويُعطيك الصلاة براحة.

وإذا لَم يكن لكَ مَحبة الجلوس في القلاية على انفراد، اِغصبْ نفسك على الوجود في قلايتك، حتى لو لَم تكن أنتَ تستفيد. وعندما يرى الله تغصُّبك وحرصك على مصلحة الآخرين سوف يُعطيك مُمارسة الانفراد والهدوء والسكون براحة.

> **[في زمن الحب الكثير كان كل واحد يَجرّ رفيقه إلَى فوق، أمَّا في هذا الزمان فقد قلّ الحب، وصار كل واحدٍ يَجرّ رفيقه إلَى أسفل، ومن أجل ذلك لا ننال المواهب]** (البستان قول ٧٧٥).

إن لَم يكن لديك القدرة على أن تَجرّ رفيقك إلَى أعلَى، فعلى الأقلّ لأجل

مَحبتك له لا تصنع ما يُضايقه وما يَجرّه إلَى أسفل.

اِمتنع عن الضوضاء، وامتنع عن الثَرثَرة. اِمتنع عن التَزاور حتى لو كنتَ لا تستفيد من الانفراد.

الراهب والمسكن[٣٤]

قراءة في إنجيل القديس لوقا (لو ٩:٥٧-٥٨):

«وفيما هم سائرون في الطريق، قال له واحد: «يا سيِّد، أتبعك أينما تَمضي. فقال له يسوع: ''للثعالب أوجرة، ولِطيور السماء أوكار، وأمَّا ابن الإنسان فليس له أين يسند رأسه''».

تبعية المسيح هي أساس الرهبنة :

⊕ أتبعك أينما تَمضي: تبعية المسيح هي أساس الرهبنة، التي سَمعها القديس أنطونيوس من فم الرب: «إن أردتَ أن تكون كاملاً فاذهب وبِعْ أملاكك وأعطِ الفقراء فيكون لكَ كنزٌ في السماء **وتعالَ اتبعني**» (مت ١٩:٢١).

فالكلام هنا مُوجَّه لإنسان يريد أن يتبع المسيح، وأن يُكرِّس نفسه بالكامل للرب يسوع.

العجيب هنا أن المسيح ركَّز في ردِّه على نقطةٍ مُحدَّدة جدًا ولكن يبدو أنها مُهمة في نظر الرب. فقال له يسوع: «**للثعالب أوجرة، ولِطيور السماء أوكار، وأمَّا ابن الإنسان فليس له أين يسند رأسه**». بِمعنَى: أنتَ تريد أن تتبعني؟ إن أردتَ ذلك يجب أن تكون مثلي، أي أن تكون مستعدًا لأن تبيت في أي يوم خارجًا في الطلّ، بدون أن تَملك ولا حتى وسادة تسند عليها رأسك !

---

(٣٤) حديث بتاريخ: ٢٠٠٣/٣/٢٨ ، رقم الشريط: ٩٠

الراهب ليس له أين يسند رأسه:

من أجل هذا تقول قسمة الصوم عن الرهبان (لُبَّاس الصليب):

> [الصوم والصلاة هما اللذان عمل بهما الأبرار والصدِّيقون ولُبَّاس الصليب **وسكنوا في الجبال والبَراري وشقوق الأرض** من أجل عظم مَحبتهم في الملك المسيح].

هذا ما يتميَّز به الرهبان. أنهم لِعظم مَحبتهم في الملك المسيح سكنوا في شقوق الأرض، إنها ترادف تَمامًا قول الرب إن الذي يتبعه ليس له أين يسند رأسه.

هذا الربع من قسمة الصوم مُستوحى من الرسالة إلَى العبرانيين: « بالإيمان ... طافوا في جلود غنمٍ وجلود مِعزَى، مُعتازين مكروبين مُذلِّين، وهم لَم يكن العالَم مُستحقًّا لَهم، **تائهين في براري وجبال ومغاير وشقوق الأرض**» (عب ١١:٣٧-٣٨).

أصول الرهبنة كما وصفها المسيح:

هذا هو الراهب الحقيقي: إنه «ليس له أين يسند رأسه»، ليس له قلاية، ليس له حجرة خاصة به، ليس له الحق في أن يُطالب بقلاية مريحة مثل فلان. المفروض أني أسكن في شقوق الأرض. أمَّا كوني ساكنًا بين أربعة حوائط وتحت سقف، فهذا فضل من الله، ويُعتبر أكثر جدًا من المفروض بحسب الدعوة الرهبانية الأصيلة!!

لذلك وَضَعَ أبونا الروحي قانونًا: وهو أن الراهب الذي يطلب أن يُغيِّر قلايته يلبس بُنِّي ويسكن في مبنى المبتدئين. بِمعنَى أنه يحتاج أن يبدأ رهبانيته من أول وجديد ويتعلَّم الرهبنة من البداية.

من بداية دخولنا الدير كان أبونا يُعلِّمنا قائلاً: مَمنوع على الراهب أن يدقَّ مُسمارًا في قلايته لكي يُعلِّق صورة. كل قلاية مفروض أنه يوجد بها مُسمار مُعلَّق عليه صورة واحدة تُصلِّي أمامها ومَمنوع أن تُزوِّد مسمارًا واحدًا آخر.

كل هذا مبني على أصول الرهبنة التي وصفها المسيح: ''أتريد أن تتبعني، اِعرف أنكَ ليس لكَ أي شيء في العالَم، ليس لكَ لا أب ولا أم ولا أي مستقَر في العالَم .. ولا حتى حجر تسند عليه رأسك .. حتى هذه لا تَملكها''.

الحقوق والواجبات في الرهبنة :

يُمكن تلخيص هذا المفهوم في الصيغة التالية، وهو مبدأ عاشه أبونا الروحي ونقشه على حائط قلايته في دير الأنبا صموئيل:

[ليست لنا حقوق، ولكن علينا واجبات].

فالراهب العمَّال لا يعتبر من حقِّه أن يُلبسوه جلابية، ولا أن يُسكنوه تحت سقف وبين أربعة حوائط.

لا يعتبر أن له أي حقوق على الإطلاق.

ولكن علَيه واجبات:

علَيَّ أن أكون أمينًا في علاقتي بالمسيح، في عبادتي، في عملي. علَيَّ أن ألتَزم بكل أصول الرهبنة التي استلمناها من الأجيال الأولَى.

أمَّا حقوقي، فليست لي حقوق.

فإذا، مثلاً، مَرَّسوا شيئًا في الخانات ونسوني، فهذا خير وبركة، فهذه هي الرهبنة الصحيحة. وإذا تأخرتَ يومًا في الشغل وعند عودتك لم تجد عشاءً، لا تقل: ''أنا شقيان في الشغل حتى الساعة ١١ مساءً، وهم رجعوا الساعة ٥ مساءً، فكيف لا أجد أكلاً''. بل قل: ''هذا خير وبركة، أشكرك يا رب، لأنك اليوم جعلتني أذوق شيئًا من الرهبنة الحقيقية: إني ليست لي حقوق''.

رَأَى مار إسحاق قس القلالي الرهبان يلبسون لبسًا جيِّدًا، فقال لَهم: [إن آباءنا كانوا يلبسون خرقًا موصولةً قديمةً... اِمضوا من ها هنا، فقد أفسدتُم ما كان ههنا] (البستان، قول ٣٥٦).

لنحذر أن نتعرَّض لِهذا الموقف: أن يَخرج البستان في وجهنا ويقول لنا: أنتم أفسدتُم ما كان ههنا، أفسدتُم الرهبنة التي كانت ها هنا.

هذا بالنسبة للراهب والمسكن الذي له. عفوًا، فالعنوان صيغته خطأ، فالراهب ليس له مسكن ولا أين يسند رأسه! فالعنوان الصحيح يكون: الراهب والمسكن الذي ليس له! أو الراهب الذي ليس له مسكن!

المسكن الحقيقي للراهب :

أمَّا على المستوى الروحي:

فمسكني الحقيقي هو الرب، هو المسيح نفسه.

أي إنسان جاء ليتَرهبن، يكون لسان حاله: «**إني أحسب كل شيء أيضًا خسارة من أجل فضل معرفة المسيح يسوع ربِّي، الذي من أجله خسرتُ كل**

الأشياء وأنا أحسبها نفايةً لكي أربَح المسيح وأُوجَد فيه» (في٣:٨و٩). ”أوجد فيه“ تعني أسكن داخله. هذا هو المسكن الحقيقي الذي أفتخر به.

فلنترْك لأهل العالَم أن يفتخروا بِمساكنهم الأرضية، أمَّا نَحن الرهبان فكل شهوتنا هي أننا من الداخل نسكن في المسيح، ومن الخارج نؤهل في أحد الأيام أن نبيت «في شقوق الأرض».

طبعًا إننا لا نسعى إلى ذلك ونقول إننا نريد أن نَخرج ونسكن في شقوق الأرض، ولكن داخل قلوبنا يكون لنال استعداد مع المسيح أن نكون بدون حجر نسند عليه رأسنا.

يقول المزمور: «واحدةً سألتُ من الرب وإياها ألتمس، أن أسكن في بيت الرب كل أيام حياتي، لكي أنظر نعيم الرب وأتفرَّس في مسكنه المقدَّس» (مزمور الرب نوري وخلاصي في صلاة باكر). هذا مزمور في العهد القديم، أمَّا في العهد الجديد، فبيت الرب غيرُ مَصنوعٍ من حجارة، ولكن بيت الرب هو «هيكل جسده» (يو٢: ٢١). فشهوتي أن أسكن في جسد المسيح، وأن أُقيم فيه ليلاً ونَهارًا، لأن «يومًا صالحًا في ديارك خيرٌ من آلاف». فديار الرب ليست هي مواضع مُعيَّنة، ولكنها هي جسد المسيح.

الراهب الذي يستوعب هذا، يعيش في فرحٍ دائم وشكرٍ مستمر على عظم النعمة التي أُعطِيَت له، تلك النعمة التي كان يشتهيها الأبرار والصدِّيقون في العهد القديم ولَم تُعطَ لَهم، ويعتبِر نفسه أسعد إنسان في العالَم، لأنه أُعطِيَ له أن يسكن في مسكن الرب الذي هو جسد الرب يسوع المسيح.

الراهب وعلاقته بِمسكنه[٣٥]

جاء مرّةً شخصٌ للمسيح وقال له: «أتبعك حيثما تَمضي»، وكان ردّ المسيح له: «**لطيور السماء أوجرة، وللثعالب أوكار، أما ابن الإنسان فليس له أين يسند رأسه**» (مت ٨:٢٠ ، لو ٩:٥٨).

ما معنى هذا الكلام؟ معناه: أنك إن أردتَ أن تتبعني، إذًا ضَعْ في قلبك أنه لن يكون لكَ شيء في هذه الدنيا. ضَعْ في نفسك أنك غريب من هذا العالَم إلَى درجة أنه لا يكون لكَ أين تسند رأسك، أي لا تَملك شيئًا في هذا العالَم، أي ليس فقط أنك لا تملك حجرة أو فرشة بل ولا حتى مخدَّة تسند رأسك عليها! فإن كنتَ تريد أن تكون تابعًا لي، هذه هي شروط التبعية: أن تستطيع أن تتجاوب مع ظروف معيشتي أنا.

لذلك كان آباؤنا الرهبان الأوائل الذين خرجوا لتبعية المسيح يعيشون – تلقائيًا ودون أن يُعلِّمهم أحد – في حياة فقر، «طافوا في جلود غنمٍ وجلود معزى، معتازين، مكروبين، مذلِّين، وهم لَم يكن العالَم مستحقًا لَهم» (عب ١١:٣٧-٣٨). هذه الآية قيلت أصلاً عن أبرار العهد القديم الذين كانوا يعيشون خارج العالَم.

واقتبستها قسمة الصوم المقدس: ”الصوم والصلاة هما اللذان عملا بهما الأبرار والصديقون ولُبَّاس الصليب وسكنوا في الجبال والبَراري والمغاير وشقوق الأرض من أجل عِظم مَحبتهم في الملك المسيح“.

---

(٣٥) حديث بتاريخ: ٢٠٠٥/٤/١ ، رقم الشريط: ١٢٣

فهم اختاروا من أجل عظم محبتهم في الملك المسيح أن يكونوا متجرِّدين في هذه الدنيا، ويكون مسكنهم عبارة عن شق في الجبال.

⊕ لِماذا كل هذا؟ في الحقيقة إن هذا الشرط الذي وضعه المسيح لِمَنْ يريد أن يتبعه هو مُجرَّد تطبيق عملي ملموس للآية العمومية التي وضعها أيضًا المسيح كشرط لتبعيته: «**إنْ أراد أحدٌ أن يأتي ورائي فلينكر نفسه ويَحمل صليبه ويتبعني**» (مر ٨:٣٤ ، لو ٩:٢٣).

في الحقيقة إن المسكن له علاقة كبيرة بالذات؛

وعدم الارتباط بالمسكن له علاقة كبيرة بإنكار النفس.

ما هي هذه العلاقة؟

لو أنك نظرتَ شابًّا في العالم، عندما يُنهي دراسته، يبدأ في أن يؤجِّر شقّة. وهذه الشقّة يُزيِّنها ويؤسِّسها حسب ذوقِهِ الخاصّ، أي أنه يطبع شخصيته على هذه الشقّة، فتكون مرآةً لِشخصيته وذاته. إنه لا يكوِّن الشقّة، بل كما يقولون: يُكوِّن نفسه. عكس ما هو عندنا: يُنكر نفسه.

بالنسبة لإنسان العالَم تكون هذه الشقّة وسيلة لتحقيق كيانِهِ في المُجتمع. من هنا كان الارتباط بين الآية العمومية التي قالها المسيح: «فليُنكر نفسه» وبين الآية التطبيقية التي قالها: «ليس له أين يسند رأسه».

لذلك، كان أبونا الروحي يقول إنه عارٌ كبير على الراهب أن يطلب تغيير قلايته، بل إنه وضع قانونًا: أن الذي يطلب تغيير قلايته يلبسوه بني، ويرجع إلَى مبنى المبتدئين!

ما المعنى الخفي وراء هذا؟ معناه: أنه لَم يفهم بعد ما هي الرهبنة، ومُحتاج إلَى العودة لصفوف المبتدئين لكي يتعلَّم مبادئ الرهبنة من جديد.

منذ بداية الدير، قيل لنا: مَمنوع على الراهب أن يدق مُسمارًا في قلايته دون استئذان. بل إن الأب الروحي قال: إن الصورة التي أنتَ مُتمسِّك بِها جدًا وتريد تعليقها في قلايتك وليس لها مثيل عند إخوتك، هي زنا للنفس، لأنها قنية.

هناك تزييف، فربَّما أحدهم يقول: إنني أنظِّف قلايتي جيدًا حتى أستطيع أن أصلِّي فيها جيدًا!! وأنا هدفي روحي! أريد أن آخذ راحتي فيها، وبالتالي أصلِّي فيها جيدًا!

في الحقيقة إن هذا خداعٌ ... فعلى العكس، كلما شابَهَتْ قلايتُك المغاير وشقوق الأرض، كلما كان لكَ دالة أكبَر مع المسيح، وكلما شابَهْتَ أنتَ الذين سكنوا في شقوق الأرض من أجل عِظم مَحبتهم للملك المسيح. فيكون لكَ دالة كبيرة أمام الرب وتكون قد قرُبْتَ قليلاً من الذي ليس له أين يسند رأسه. فكلما اقتَربتَ إليه، كلما كانت لكَ دالة معه. دالة بسبب المشابهة، وتقول له: كما سلكتَ أنتَ يا رب، أنا أريد أن أسلك.

أُنظرْ نشيد الإخلاء: «فليكن فيكم هذا الفكر الذي في المسيح يسوع أيضًا، الذي إذ كان في صورة الله لَم يَحسب خُلسةً أن يكون مُعادلاً لله، لكنه أخلى نفسه آخذًا صورة عبدٍ صائرًا في شبه الناس، وإذ وُجِدَ في الهيئة كإنسان وَضَعَ نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب» (في ٢:٥-٨)، وكذلك الآية: «أنه من أجلكم افتقرَ وهو غني لكي تستغنوا أنتم بفقره» (٢كو ٨:٩).

فالمسيح عندما قال إن ابن الإنسان ليس له أين أسند رأسه، لَم يكن يقولُها كمُجرَّد كلام، بل إنه من يوم ميلاده «لَم يكن لَهما موضع في المنزل» (لو ٢:٧). لذلك ليس من فراغ يقول الرب إنه لَم يكن له أين يسند رأسه، ولكن عن خبرة عملية اختبَرها منذ أول يوم لدخوله إلَى هذا العالَم.

فإذا أردتَ أن تصلِّي في قلايتك جيدًا ويكون لكَ دالة وحب شديد مع الرب، فكلما اقتَرَبَتْ قلايتك من منظر شقوق الأرض التي عاش فيها آباؤنا من أجل عظم مَحبتهم للملك المسيح، كلما تَجد دالة أكثر مع الذي افتقر من أجلنا حتى إلَى درجة عدم توفُّر الحجر الذي يسند عليه رأسه.

لا نريد حصر الكلام في المسكن فقط، ولكن نوسِّع مَجال رؤيتنا إلى كل احتياجات الراهب.

نصيحة عمومية للراهب:

«وَقَالَ لِلْمَدْعُوِّينَ مَثَلاً، وَهُوَ يُلاَحِظُ كَيْفَ اخْتَارُوا الـمُتَّكَآتِ الأُولَى قَائِلاً لَهُمْ: مَتَى دُعِيتَ مِنْ أَحَدٍ إِلَى عُرْسٍ فَلاَ تَتَّكِئْ فِي الـمُتَّكَإِ الأَوَّلِ، لَعَلَّ أَكْرَمَ مِنْكَ يَكُونُ قَدْ دُعِيَ مِنْهُ فَيَأْتِيَ الَّذِي دَعَاكَ وَإِيَّاهُ وَيَقُولَ لَكَ: أَعْطِ مَكَانًا لِهذَا. فَحِينَئِذٍ تَبْتَدِئُ بِخَجَلٍ تَأْخُذُ الْمَوْضِعَ الأَخِيرَ. بَلْ مَتَى دُعِيتَ فَاذْهَبْ وَاتَّكِئْ فِي الْمَوْضِعِ الأَخِيرِ، حَتَّى إِذَا جَاءَ الَّذِي دَعَاكَ يَقُولُ لَكَ: يَا صَدِيقُ، ارْتَفِعْ إِلَى فَوْقُ. حِينَئِذٍ يَكُونُ لَكَ مَجْدٌ أَمَامَ الـمُتَّكِئِينَ مَعَكَ لأَنَّ كُلَّ مَنْ يَرْفَعُ نَفْسَهُ يَتَّضِعُ وَمَنْ يَضَعُ نَفْسَهُ يَرْتَفِعُ» (لو ١٤:٧-١١).

عليك اختيار الوضع الأقل باستمرار.

⊕ ولكن لاحظ قوله: «ارتفع إلَى فوق. حينئذٍ يكون لكَ مَجدٌ».

ما هو هذا المجد؟ إنه ليس مَجدًا على مستوى عالَمي، أي مضمونه أنك ارتقيت لِموضعٍ أرقَى، ليس هذا ما يقصده الرب هنا، ولكن يكون لكَ مَجد الإخلاء. المجد حينما يرفعك الله من الوضع الأقل والموضع الأخير هو في أن يُظهر علنًا أمام الملائكة والقديسين أن هذا الراهب لديه روح الإخلاء ولديه روح الذي افتقر من أجلنا وهو غني. باختصار لديه روح المسيح، عنده مَجد المسيح.

فمجد المسيح هو مَجد الإخلاء، هو مَجد البذل، هو مَجد الحب الإلَهي. «مَجِّدْ ابنَك ليُمجِّدك ابنُك أيضًا» (يو١٧:١)، قالها الرب في ليلته الأخيرة وهو يتقدَّم إلَى أقصى درجة من الإخلاء، التي هي قبول الصليب كمحكوم عليه بالإعدام، كمُجرم وحامل لِخطايا العالَم كله وكَملعون مُعلَّق على خشبة.

← ونحن دُعينا «لاقتناء مَجد ربنا يسوع» (٢تس٢:١٤). ما هو هذا المجد؟ هو مَجد الإخلاء، هو مَجد اختيار الموضع الأخير من أجل مَحبة الآب.

المسيح اختار كل ملابسات نزوله إلَى الأرض. لاحظ أن أي إنسان لا يَختار ملابسات ميلاده، إلاَّ المسيح وحده الذي رسم بإرادته وبِمشيئته وتدبيره كل ملابسات وظروف ميلاده، فرتَّب أن يُولَد في مغارة، ورتَّب أن يُولَد وليس له مكان في منزل وليس له أين يسند رأسه. اختار كل هذه الملابسات باختيار حرّ إرادي. وهذا هو مَجد ربنا يسوع المسيح، الذي دُعينا نحن لاقتنائه.

فعندما يأتيك الرب ليقول لكَ: «يا صديق، لِماذا أنتَ هكذا جالس في

الموضع الأخير؟ ارتفعْ إلَى فوق»، حينئذٍ يكون لك مَجدٌ. هذا المجد ليس مَجد الارتقاء إلَى أعلى، ولكنه مَجد استعلان فضيلتك أمام الملائكة والقديسين، أنك أنتَ بالفعل راهبٌ، اختَرتَ لنفسك أن تُنكر نفسك من أجل عظم مَحبتك للملك المسيح.

على مستوى عملي كنصيحة:

لا تسعى لأي شيء، ولكن انتظر أن يأتيك الشيء من تلقاء نفسه.

لا تسعى أن تُغيِّر قلايتك إلَى قلاية أكبر أو أفضل، بل ضعْ سعادتك في القلاية الأقل، وضعْ سعادتك في الجلابية الأقل، وضعْ سعادتك في أنك لا تطلب أي شيء. حينئذٍ يأتي المسئول ويقول لكَ: أيها الأخ، أنتَ مُحتاج إلَى جلابية جديدة أو قلاية جديدة، فيكون لكَ مَجد. وليس المجد هو حصولك على الشيء الجديد، ولكن المجد هو المجد الروحي، مَجدك كراهب حقَّق رهبانيته بِحقٍّ ونال روح المسيح، روح الإخلاء واقتنى مَجد ربنا يسوع المسيح.

لا نحصر هذا الكلام في علاقتنا فقط بالمسكن، ولكن نُطبِّقه على حياتنا الرهبانية بصفة عامة في كل ظروفها. لا تطلب أن تُغيِّر مَجال عملك، ولكن اصبُر مهما كان صعبًا، مهما كان فيه تضييق على نفسك، مهما كان فيه عدم رضائك عنه، كما أن «المسيح أيضًا لَم يُرضِ نفسه، بل كما هو مكتوبٌ: تعييرات مُعيِّريك وقعت علَيَّ» (رو ١٥: ٣). مهما كانت هناك ضيقة جسدية أو ضيقة نفسية أو تعب جسدي أو نفسي، لا تطلب تغيير مَجال عملك، لا تطلب تغيير مَكان سكنك، لا تطلب أي شيء على الأرض، بل اسعَ لاقتناء مَجد ربنا يسوع المسيح.

وحينئذٍ ستجد دالة كبيرة عند الرب. لِماذا؟ لأنك ستكون معه على نفس

الموجة الروحية. وسوف تستطيع حينئذٍ أن تتفهَّم روح الرب من الداخل كيف هي، وستتفهَّم روح الإخلاء التي في الرب. ستجد تقابلاً عاطفيًا ونفسيًا، ومشاركة وجدانية مع الرب في كل ما جازه وفي كل ما رسَمه لنفسه، فستجد دالة كبيرة معه، وحينئذٍ يكون لكَ مَجد في وسط آبائنا القديسين الذين تآخوا مع الرب في إخلائه.

من كلمات أبينا الروحي الأب متى المسكين

[نحن نبني قلالي لا لكي نسكن فيها بل لكي نتغرَّب فيها][٣٦]

[القلاية التي يعطونها لك ليست مكانًا للراحة والزينة والقنية، ولكنها في حقيقتها الروحية هي جزء من الطافوس الذي تُكمِّل فيه كل يوم موتك عن العالم والجسد والذات بشهواتها، باعتبار أن الدير كله مكان للإماتة تُكمِّل فيه كل يوم موتك عن العالم وتوبتك عن خطاياك.

وكما أن الميت لا يشتهي أن يتحرَّك داخل الطافوس من مكان إلى مكان أفضل، هكذا الراهب لا يجد هناك داعيًا أو سببًا أن يُغيِّر قلايته التي اتخذها مكانًا يُميت فيها نفسه عن الشهوات.

ولكن كما يُحرِّكونه يتحرَّك دون أن يُميِّز ما هو أفضل، لأن أفضل مكان عنده هو الذي يُسهِّل عليه موته عن شهوات الدنيا.

مطلوب منكم أن تدخلوا القلاية بروح المسيح. سوف تجدها كل يوم مضيئة ومنيرة ودافئة مهما كانت، وتستنشق فيها رائحة الفردوس][٣٧]

---

(٣٦) رسائل القمص متى المسكين، رسالة (٥٧).

(٣٧) السلوك الرهباني العام داخل الدير (خاصة برهبان دير القديس أنبا مقار)، ص ٢٠.

الراهب والقنية[٣٨]

الراهب عاشق للمسيح:

أساس كل كلامنا هو دائمًا المسيح.

الراهب أساسًا هو إنسان عاشق للمسيح. ترك كل شيء، ترك أهله ووظيفته، ترك العالَم والزواج ...إلخ، ترك كل شيء حُبًّا في المسيح.

أساس عدم القنية بالنسبة للراهب هو الروح الذي كان في المسيح الذي «**أخلَى نفسه**» (في٢:٧). فالمسيح، إذ كان في صورة الله أخلَى نفسه. والراهب الذي يعشق المسيح، يستمد من المسيح روح الإخلاء، «**فإنكم تعرفون نعمة ربنا يسوع المسيح أنه من أجلكم افتقر وهو غنِيٌّ لكي تستغنوا أنتم بفقره**» (٢كو ٨:٩). هذه الآية من الآيات المحبوبة لدى القديس أنطونيوس، فهي مُكرَّرة في عدة رسائل له. لِماذا؟ لأن هذه الآية أساس الإخلاء، أساس الافتقار، أساس المسكنة، أساس ما عاشه القديس أنطونيوس. «**اِذهب بعْ كل ما لكَ، وتَعالَ اِتبعني**» (مر١٠:٢١). هذه الآية لَمست قلب القديس أنطونيوس وأخذها من الرب تَمثُّلاً بِما فعله الرب في إخلائه.

روح الإخلاء:

فالمسيح نفسه عاش الإخلاء، وأوصَى به الذي أحبَّه «ونظر إليه يسوع وأحبَّه» (مر١٠:٢١)، أحبَّ الشاب الذي قال: «هذه كلها حفظتُها منذ حداثتي»، أحبَّه وقال

---

(٣٨) حديث بتاريخ: ٢٠٠٤/١٠/١٥ ، رقم الشريط: ١٠٩

له: عِشْ كما أنا عشتُ، وخُذْ نفس الروح التي أنا عشتُ بِها: روح الإخلاء، روح الافتقار، روح المسكنة.

كل الذين أحسّوا بروح الإخلاء الذي في المسيح، تأثَّروا به حتى صار لَهم نفس المنهج تَمامًا، بدءًا من القديس بولس الرسول الذي كتب الآية التي قلناها قبلاً: «**فإنكم تعرفون نعمة ربنا يسوع المسيح أنه من أجلكم افتقر وهو غنِيٌّ لكي تستغنوا أنتم بفقره**» (٢كو ٨:٩). وفي رسالته إلَى فيلبي، يكتب كيف عاش هو نفسه بهذه الروح، فيقول: «**لكن ما كان لي ربحًا فهذا قد حسبتُه من أجل المسيح خسارة، بل إني أحسب كل شيء أيضًا خسارةً من أجل فضل معرفة المسيح يسوع ربِّي الذي من أجله خسرتُ كل الأشياء وأنا أحسبها نفاية لكي أربح المسيح وأوجَد فيه**» (في ٣:٧-٨).

فكل الامتيازات التي كانت للقديس بولس الرسول، وهي كثيرة، قد حسبها كلها خسارة. وذلك «من أجل فضل معرفة المسيح يسوع ربِّي»، بل إنه يَحسب كل هذه الأشياء نفاية أي زبالة «**لكي أربح المسيح وأوجَد فيه**».

فمحبة المسيح جعلته يعتبِر كل المقتنيات وكل الامتيازات الاجتماعية أو العلمية أو الدينية حسبها كلها زبالة.

اِذهبْ وبِعْ كل ما لكَ:

هذا هو الأساس الإنجيلي للدعوة الرهبانية: فضيلة عدم القنية.

فأساس الرهبنة هو: «**اِذهب بعْ كل ما لكَ وأعطِ الفقراء، فيكون لكَ كنْزٌ في السماء وتعالَ اتبعني حاملاً الصليب**» (مر١٠: ٢١).

وصية صريحة جدًا، وهي أساس الرهبنة.

أطاع القديس أنطونيوس وباع، فبدأت الرهبنة.

⊕ هذا هو باب الرهبنة: أن الإنسان يترك كل ما يقتنيه ويبيعه.

جاء شخصٌ ليتَرهبن عند القديس أنطونيوس، وكان مُحتفظًا بكمية قليلة من المال للأيام الصعبة. فماذا فعل أنبا أنطونيوس معه؟ قال له: "امضِ إلى القرية واشترِ لَحمًا وانزع ثيابَك وعلقه في رقبتِك وتعال"، فما كان من كلبٍ أو طائرٍ في القرية إلاَّ وصار ينهش لحمه وظهره، وحضر للقديس وكلّه جروح. فقال له: "مرحبًا يا ابن الطاعة، ... أرأيتَ يا ابني كيف نهشت الطيورُ والكلابُ جسمَكَ وجرحته، كذلك تنهش الشياطيُن أصحابَ القنيَةِ، فافهم الآن هذا الكلام في عقلِك وتفكَّر به كلَّ أيامِ حياتِك". ومن هنا قال القديس أنطونيوس مبدأه المشهور:

[ضارٌ بالراهب أن يُبقِي في قلايته دينارًا وشيطانًا] (البستان، قول ٨٠٩).

مقتنيات الراهب:

+ تطبيق عملي:

⊕ على الأخ المبتدئ أن يُسلِّم للمسؤولين كل ما أحضره معه ولا يُبقِي في قلايته "شيئًا يتألم على فقدانه"، حسب ما هو مكتوب في بستان الرهبان (قول ٣٥٢).

فأي شيء أنتَ متعلِّق به، اِعلم أنه يربطك بالعالَم. يربطك بالعالَم معناه: يُنقص من قيمتك الرهبانية، يُنقص من علاقتك بالمسيح والدالة التي بينك وبينه. وقد يكون هذا الشيء تافهًا، مثل إبرة صغيرة كما يقول البستان (قول ١١٩١)، أو

صورة ما، أو أي شيء أنت مُحتفظ به؛ صحيح أنه تافه، ولكن أنتَ متعلِّق به، وهذا يَحدّ من إخلائك وتَخلِّيك عن كل شيء، فلا تستطيع أن تقول: «قد تركنا كل شيء وتبعناك».

لذلك يوصي البستان أن لا يَحتفظ الراهب في قلايته بأي شيء يندم على فقدانه. إذا كنتَ سوف تتألَّم لأن هذا الشيء قد فُقد منك، فعندك إذًا تعلُّق خطأ بهذا الشيء.

+ تطبيق عملي آخر:

⊕ على الراهب أن لا يُميِّز نفسه عن إخوته بأي شيء لا في قلايته ولا في لبسه ولا في أكله. يعني قلاية الراهب لا يَجب أن يوجد فيها شيء غير موجود في قلاية أخيه. أخي ليس عنده كذا في قلايته، إذًا أنا لا يَجب أن يكون لديَّ كذا، بل أكثر من هذا، يَجب أن يكون لدَيَّ أقل من الآخرين.

⊕ وكمثال آخر، إذا طلب من المسؤول شيئًا ولَم يعطه، مع أنه يعلم أن المسؤول لديه هذا الشيء، فهنا يَجب أن يفرح، لِماذا؟ لأنه يُمارس الرهبنة التي هو جاء من أجلها. فالرهبنة هي أساسًا إخلاء من القنية.

فمن مبادئ البستان: أن يظلم الراهب نفسه في الأخذ والعطاء، يعني عندما تأخذ تأخذ أقل من أخيك، وعندما تعطي تعطي أكثر من أخيك. والبستان يقول:

[وليكن عطاؤكم أكثر من أخذكم] (قول ٥٠١).

قصة أنبا أرسانيوس عندما كان يأكل الفول الأبيض ويترك الأسود، وأب الدير

لَم يعجبه هذا الأمر، فقال لأحد الإخوة: ”احتمل ما أفعله بك من أجلِ الربِّ“، ورتَّب هذا الأب أن يَجلس هذا الأخ بَجوار أنبا أرسانيوس، ولطمه الأب قائلاً: ”كيف تنقي الفولَ الأبيضَ لنفسِك وتترك الأَسودَ لإخوتك؟ كيف تأكل الفول الأبيض وتترك الأسود لإخوتك؟“، (أنتَ تُميِّز نفسك عن إخوتك، أنتَ تُحب نفسك أكثر من إخوتك)، على الفور انتبه أنبا أرسانيوس، وكان حارًّا بالروح، وأحسَّ أن هذا الكلام مُوجَّهٌ إليه هو، واعتذر للأخ وقال له: ”يا أخي، إن هذه اللطمةَ ليست لك ولكنها موجهةٌ لخَدِّ أرسانيوس“. وأردف قائلاً: ”هوذا أرسانيوس معلِّمُ أولادِ الملوكِ اليونانيين لم يعرف كيف يأكلُ الفولَ مع رهبانِ إسقيطِ مصرَ“ (البستان، قول ٩٥). لقد أحسَّ بنقصٍ، لأن رهبان الإسقيط كلهم متعلِّمون الأصول الرهبانية، تلقائيًا دون أن يُعلِّمهم أحد، ولا أحد منهم يُخطئ هذا الخطأ، فكيف أُميِّز نفسي عن إخوتي في الأكل؟

+ تطبيق عملي آخر لعدم القنية:

⊕ لا يليق للراهب أن يأخذ شيئًا من علماني أو يقبل شيئًا من أحدٍ في العالَم، ولا سيما من أهله. أن يطلب شيئًا من أهله، هذا أمرٌ مرفوض تَمامًا.

قال أنبا مقار مرّةً: ”**نَحن بنعمة الله مُكتفون**“، عندما جاءه شخصٌ غنِيٌّ وأراد أن يعطي الرهبان صدقة، فقال له هذه العبارة: ”نَحن بنعمة الله مُكتفون“، وعندما ألحَّ عليه ضرب الناقوس وجَمع الرهبان، وكان عددهم ٢٤٠٠، وقال لَهم: ”من أجل مَحبة المسيح، الذي منكم يَحتاج شيئًا، فليأخذه من هذا المال“، فكُلّهم مرّوا على المال دون أن يأخذ أحدٌ شيئًا منه (قول ٣٤٠).

هذا ليس مُجرَّد كلام، فنحن بالفعل مكتفون. فمهما عرض الأصدقاء أو الأهل على الأخ أو الراهب بأن يُحضروا له شيئًا، يقول لَهم: الشكر لله، **نَحن بنعمة الله مُكتفون**. الرب يرعاني، فلا يُعوزني شيء.

وإن حدث أن أُحضِر لكَ شيءٌ، فأفضل ما تعمله هو أن تذهب على الفور إلَى قلاية الربيتة وتُعطيه له، فتذهب وضميرك مرتاح ونفسك حرّة، وطوباك إن كنتَ لَم تفتح هذا الشيء وتنظر إليه.

وطبعًا أمرٌ معيوب جدًا جدًا، ليس بصفتنا رهبانًا، ولكن بالنسبة لأي إنسان، أن يأخذ الإنسان شيئًا ليس له، مثلاً أن يفتح الراهب خانة غيره ويأخذ منها شيئًا. أو يَجد في طريقه شيئًا وقع من أخيه فيأخذه لنفسه. هذه الأمور لا تَجعلنا مَجمع رُهبان بل مَجمع لصوص. «مكتوب: بيتي بيتُ الصلاةِ يُدعَى، وأنتم جَعلتموه مغارة لصوص» (مت ٢١: ١٣).

⊕ كل الكلام السابق هو من الناحية السلبية بِمعنى لا تفعل لا تفعل لا تفعل ... ولكن ماذا من الناحية الإيجابية: أي ماذا نفعل؟

المفروض على الرهبان أنهم يعملون على قدر طاقتهم، لا لكي يكتفوا بِحاجتهم فقط، بل ليُعطوا الفائض للمُحتاجين.

ونشكر الله أن الدير كدير، كَجماعة ، يسير على هذا المبدأ. الكل يعمل على قدر طاقة كل واحد، ليس فينا رهبان يعيشون في البطالة، والفائض يُعطَى للفقراء.

هذا يَجعل الراهب يعمل بكل أمانة ويُحاول أن يكون منتجًا، ويُحاول أن يُقلِّل من الخسائر ويكون أمينًا في عمله، ويلاحظ العمل والعمّال، ويَجتهد لكي لا تَحدث خسائر، وهو واثق أن الفائض من تعبه سيصل إلَى المُحتاجين والفقراء[٣٩].

[وليكن عطاؤكم أكثَر من أخذكم] (البستان، قول ٥٠١).

تطبيق ذلك من الوجهة العملية أن تكون الطلبات التي يطلبها الراهب في أقل الحدود المُمكنة.

الذات ومحبة القنية :

ومُلخَّص كل ما قلناه: أن الشيء المُختبئ وراء محبة الراهب للقنية هو الذات. عندما نُحلِّل كل نقطة من النقاط السابقة، مثل الراهب الذي يُزيِّن قلايته أكثَر من أخيه، ما هو الدافع المُختبئ وراء هذا؟ إنه الذات، فهذه قلايتي أنا، القلاية بتاعتي، الأنا، ذاتي. لاحظ أن هذه الذات موجودة في كل إنسان طبيعي، الشاب الطبيعي الذي عمره ٢٥ سنة يُؤجِّر شقة ويُذوِّقها، و"يُجهِّز نفسه". هي الذات. والراهب الذي يقع في هذا العيب هو شخص مَخدوع وغير مُنتبِه أنه رجع مرّةً أخرى للوضع الطبيعي للشاب العائش في العالم ولم يدخل الرهبنة.

هذه هي الوصية: «**إن أراد أحد أن يأتي ورائي، فلينكر نفسه، ويَحمل صليبه ويتبعني**» (مت١٦: ٢٤).

(٣٩) انظر أعلاه هامش ١٨

وترادفها: «**اِذهبْ بِعْ كل ما لكَ وأعطِ الفقراء، فيكون لكَ كنز في السماء، وتعال اتبعني حاملاً الصليب**» (مر١٠: ٢١).

والأصل هو: أن المسيح «**أخلى نفسه آخذًا صورة عبد**» (في٢: ٧).

لماذا يقطع الراهب علاقته بأقربائه الجسديين؟[٤٠]

قصة في البستان:

> **[راهبٌ كان فاضلاً جدًا لدرجةِ أنه كان يُخرج الشياطين بصلاتِهِ، وكانت له أمٌ عجوز مسكينةٌ، فحدثت مجاعةٌ عظيمةٌ، فأخذ الراهبُ خبزًا ومضى ليفتقد والدته، وبعد أن رجع إلى قلايتهِ أُحضر أمامه مجنونٌ فقام ليصلي عليه كعادتهِ، فأخذ الشيطانُ يهزأ به قائلاً: «ماما، ماما»]**

(بستان الرهبان، قول ٣٣٩).

قول لأنبا أنطونيوس نفسه:

> **[إن شئتَ أن تَخلص، فلا تدخل بيتك الذي خرجتَ منه... ولا تبصر أبويك ولا أقرباءك الجسدانيين، وإلاَّ فأنتَ تُقيم زمانك كله بغير ثمرة]**

(بستان الرهبان، قول ٢٤).

ليس ذلك خطيئة، ولكنه يجعلك تَمضي حياتك كلها بغير أن تكون مُثمرًا.

قطع الراهب الصلة بأقربائه الجسدانيين:

⊕ قول الأنبا أنطونيوس المذكور أعلاه، يُوضِّح أن هذا الأمر ليس خطيئة، ولكن هذا التصرُّف يَمنعك من أن تُثمر روحيًا، بِمعنى أنك تظل مربوطًا بوضع الإنسان القديم فلا تستطيع أن تُثمر.

---

(٤٠) حديث بتاريخ: ١٥/٥/٢٠٠٠ ، رقم الشريط: ٥٢

إن خرجتَ من العالم تستطيع أن تُؤثِّر على العالم،
ولكن إن بقيتَ مرتبطًا بالعالم، فالعالم يُؤثِّر عليك.

«**مَنْ هي أمِّي؟ ومَنْ هم إخوتي؟**» (مت١٢: ٤٨)

> **[راهب سأل الأب برصنوفيوس بشأن أخيه العلماني المُحتاج إلى ثوب، فأجابه: «أتسألني أيها الأخ بِخصوص أخيك؟ إني لا أعرفُ لكَ أخًا غير المسيح ...]**

تعليق: عيب على الراهب أن يقول أبي وأمي وأخي وأختي. غير مستساغ أن يتكلَّم الراهب عن أهله.

تكميل القول:

> **[إني لا أعرف لكَ أخًا غير المسيح، فإن كان لك إخوة اِعمل معهم ما شئتَ، فأنا ليس لي كلام...]**

تعليق: قصد ق. برصنوفيوس أن يقول لهذا الأخ: إن علاقتك بي هي علاقة روحية في حدود الرهبنة ولا تَحتمل أن تُكلِّمني عن أخيك الجسداني وتسألني بخصوصه. فإذا كنتَ تُخاطبني كأب روحي، فيلزم أن تتعامل معي بحسب أصول الرهبنة ولا شأن لكَ بإخوتك بالجسد.

تكميل القول:

> **[لأنه إن كان الرب نفسه قال مَنْ هي أمي ومَنْ هم إخوتي، فماذا أقول**

أنا لك؟! هل تطرح وصية الرب وترتبط بِمحبة أخيك حتى ولو كان مفتقرًا إلى ثوب؟ وإن كنتَ قد ذكرتَ أخاكَ، فلِماذا لَم تتذكَّر المساكين الآخرين؟ لا بل لِماذا لَم تذكُر القائل عن نفسِه كنتُ عريانًا ولَم تكسوني. لكن الشياطين تُلاعبك، بل وتُذكِّرك أيضًا بأولئك الذين جحدتَهم لأجل المسيح، لكي ما تظهر مُخالفًا لأوامره]

(بستان الرهبان، قول ٣٥٩).

تعليق: هنا يذكر أنبا برصنوفيوس كلام المسيح: «**مَنْ هي أمي؟ ومَنْ هم إخوتي؟**» (مت١٢:٤٨)، ولكنه في الحقيقة يُلمِّح إلى موضع آخر في الإنجيل أشدّ من ذلك بقوله «الذين جحدتهم لأجل المسيح»:

جحد الأقارب وجحد الذات:

في إنجيل لوقا يقول الرب:

«**إن كان أحد يأتي إلَيَّ ولا يُبغض أباه وأمَّه وامرأته وأولاده وإخوته وأخواته حتى نفسه أيضًا فلا يقدر أن يكون لي تلميذًا، ومَنْ لا يَحمل صليبه ويأتي ورائي فلا يقدر أن يكون لي تلميذًا**» (لو١٤:٢٦-٢٧).

معنى هذه الآية يُرادف معنى الآية الأساسية في الرهبنة:

«**إن أراد أحد أن يأتي ورائي فلينكر نفسه ويَحمل صليبه ويتبعني**» (مت١٦:٢٤).

يُبغض نفسه، يُنكر نفسه: هذه من المقومات الأساسية لحبنا للمسيح. حب

المسيح يتناسب تناسبًا عكسيًا مع حب الذات، فكلما تكون مُحبًّا لذاتك كلما يصعب عليك أن تُحب المسيح، وكلما تُنكر ذاتك كلما [**ينفتح لك ميدان الحب الإلَهي لتجري فيه جريًا، لأن من موت الذات تنفتح طاقات الحب**][٤١].

فكلام المسيح هنا ليس غريبًا عن وصية المسيح الأساسية عن الحب الإلَهي: «**تُحب الرب إلهك من كل قلبك**» (مت٢٢: ٣٧)، بل بالعكس، فلكي تدخل في الحب الإلَهي وتُحب الله من كل قلبك وتُحب جَميع الناس كما أحبك المسيح (يو١٥: ١٢)، ينبغي أن تُبغض ذاتك، تُخْلِي ذاتك من ارتباطك بنفسك. أمَّا إذا كنتَ مَحصورًا داخل نفسك، ويدخل ضمنها أيضًا أن تكون مَحصورًا داخل أسرتك، لأن العائلة جزء من الذات، الذات العائلية. الذات هي اسْمك، واسْمك يُبلوِر ذاتك. ولِهذا عند رسامة الراهب يقولون له: اِنسَ اسْمك واسم عائلتك، أي اِنسَ ذاتك الفردية وذاتك العائلية. ويعطونه اسْمًا جديدًا. الاسم الذي تتركه هو اسْمك الشخصي واسم العائلة، وهو يُعبِّر عن ذاتك الخاصة الشخصية وذاتك العائلية.

هنا كلام المسيح أن تبغض أباك وأمك و.. و.. ونفسك أيضًا، كله يرمي إلَى أن تنفكَّ من ذاتك التي أنتَ مَحصور فيها والتي تَمنعك من الدخول إلى الحب المتسع. ولكن المسيح لَم يقصد إطلاقًا أن تكرههم روحيًا، بل أنتَ مُلزَم أن تصلِّي من أجل خلاص عائلتك، فهذه مَحبة روحية لَم يَنهِنا عنها المسيح. ولكن عندما يُطالبك بأن «تُبغضهم»، يقصد أن تنفكّ نفسك من المحبة العاطفية التي تربطك

(٤١) مقال ''نصائح لرهبان جدد'' للأب متى المسكين.

بهم برباط اللحم والدم، وتُصبح تُحبهم كأحباء في المسيح يسوع بغضّ النظر عن علاقتك الخاصة بهم، بل تُحبهم في المسيح كبقية أعضاء المسيح.

الذي ينجح في هذا الأمر (أي ينفك من الارتباط بأسرته)، ينفتح أمامه مَجال الحب المتسع للجنس البشري، يشعر أن كل إنسان هو أخ حبيب له في المسيح، كل سيدة هي أمه، كل رجل هو أخوه وأبوه. وهذا هو ما وعد به المسيح: «**ليس أحد ترك ... إلاَّ ويأخذ مئة ضعف**» (مر١٠: ٢٩و٣٠).

ما معنى أنه يأخذ مئة ضعف؟ معناها أنه يأخذ البشرية كلها، أصبح الجميع أقرباءه آباءه إخوته أخواته، وأصبح يُحب البشرية كلها كما أحبه هو المسيح. هنا لم تَعُدْ المحبة العاطفية المنحصرة التي تُحدّه داخل ذاته، وإنَّما أصبحت مَحبة روحية.

كل قصص البستان التي تَحضُّ على أن يقطع الراهب علاقته بأسرته، كلها مبنية على خلفية الوصايا الإنجيلية التي أعطاها المسيح، والتي ذكرها الأنبا برصنوفيوس في القول السابق:

[وإن كنتَ قد ذكرتَ أخاك، فلماذا لَم تذكر المساكين الآخرين].

بل لِما لم تذكر المسيح الذي قال عن المساكين إنَّهم جَميعًا إخوته، «بما أنكم فعلتموه بأحد إخوتي هؤلاء الأصاغر فبي فعلتم» (مت٢٥: ٤٠).

التكريس الكلِّي لله:

قصد هذا المبدأ الرهباني (عدم الارتباط بالأهل والأقارب) هو أن تنفكّ من الانحصار في الذات، سواء كانت الذات الفردية أو الذات العائلية، كي ينفتِح أمامك باتساع باب الحب الإلهَي.

هناك آية في العهد القديم تُبيِّن أن التكريس الكلِّي لله يَجعل الإنسان ينفكّ من عائلته. في العهد القديم لَم يكن هناك تكريسٌ كلِّيٌ لله إلاَّ في سبط لاوي، فهذا السبط اختاره الله بدلاً من أبكار بني إسرائيل وأصبح مُكرَّسًا لله.

ثُمَّ نرى تسبحة موسى الأخيرة في تث ٣٢ التي تُسمَّى تسبحة موسى الثانية في الطقس الكنسي، وتُقرَأ في سبت الفرح (تسبحة موسى الأولَى هي الهوس الأول خر١٥). بعد التسبحة الثانية يبارك موسى كل سبط من أسباط إسرائيل الاثني عشر، فأحيانًا يقول كلامًا معزيًا، وأحيانًا أخرى عكس ذلك، فيقول مثلاً عن سبط لاوي:

«**الذي قال عن أبيه وأمه لَم أرهما، وبإخوته لَم يعتَرف، وأولاده لَم يعرف، بل (اللاويون) حفظوا كلامك وصانوا عهدك**» (تث ٣٣:٩).

هذا هو عهد التكريس الكلِّي، لَم يرَ أباه وأمه، وإخوته لَم يعتَرف بهم، وأولاده لَم يعرفهم (صعبة جدًا خصوصًا في العهد القديم).

الروح النبوية عند موسى جعلته يتنبأ عبر الدهور بمبدأ المسيح في التكريس الكلِّي الذي نعيشه اليوم كرهبان. ولذلك عيب علينا جدًا أن موسى قبل المسيح بألف وخَمسمائة سنة يُدرك ما سوف يقوله المسيح، بينما نحن بعد كل هذه الأجيال من الإنجيل ومن سير القديسين الذين عاشوا الإنجيل، والأمثلة التي نقرأها عن القديسين الذين يُطبِّقون الإنجيل، ما نزال لَم نصل إلَى ما أدركه موسى الذي كان قبل المسيح بِ ١٥٠٠ سنة.

الصلابة الإنجيلية الأولَى في التعامل مع الأهل:

كان الوضع الأول أن الراهب عندما تَحضر أسرته للدير يَهرب ويفر من لقائها، ويظل المسئول يتوسَّل إليه حتى يُطيِّب خاطرهم ببضع كلمات لبضع دقائق، فيقبل بصعوبة من أجل الطاعة. لكن ما يَحدث الآن، أن الراهب يتضايق إذا علم أنهم لَم يسمحوا لأسرته بالدخول! الأوضاع تغيَّرت الآن للأسف، ونسمع أن الراهب يَجلس مع أسرته ٤-٥ ساعات، ولا يريد أن يتركهم، ويرسل إليه الأب المسئول حتى لا تبرد روحه، فلا يستجيب. الأوضاع معكوسة تمامًا، فالمفروض أن الأب المسئول هو الذي يتوسَّل ويتَرجَّى الراهب أن يقابل أهله فيَرفض ويتمنَّع. فهل من عودة إلَى الصلابة الإنجيلية الأولَى؟!

الراهب شهيد لله:

آباؤنا الأوائل كانت عندهم هذه الصلابة الإنجيلية، لأنهم خرجوا وراء المسيح مقدِّمين نفوسهم له حتى الموت، خرجوا برسم الموت: «فليُنكر نفسه ويحمل صليبه». كانت الرهبنة الأولَى في الجيل الأول بديلاً بالفعل عن الاستشهاد، والذي يقرأ تاريخ الكنيسة يعرف هذا، فالأنبا أنطونيوس كان يشتهي أن يستشهد ونَزل بالفعل للإسكندرية لكي يستشهد، ولـمّا لَم يسمح الله له بنصيب مع الشهداء، رجع مغارته وكان كل يوم يُقدِّم نفسه شهيدًا بالنية لله.

الأمر الذي جعل الرهبنة تزدهر هو انتهاء عصر الاستشهاد. فمن بعد أن آمن الإمبراطور نفسه، لم تَعُد هناك فرصة للاستشهاد، فكان كل جُموع الشباب الحارِّين بالروح الذين كانوا يذهبون ليُقدِّموا أنفسهم للاستشهاد، يَخرجون للبَرِّية ويَموتون كل

يوم بالنيَّة. هذا هو أصل الرهبنة، وهو أيضًا المبدأ الإنجيلي الذي وضعه المسيح، «فليُنكر نفسه ويَحمل صليبه»، أي يكون مستعدًا كل يوم للموت، فحمل الصليب ليس له معنى آخر غير الاستعداد الموت، ''ⲥⲧⲁⲩⲣⲟⲫⲟⲣⲟⲥ =حامل الصليب''.

الراهب والرؤى والأحلام[٤٢]

ما هي أهمية الرؤى والأحلام في حياة الراهب ؟

⊕ في الحقيقة، إن الذي يقرأ بستان الرهبان[٤٣] يَجد أن ٩٠ ٪ على الأقل من القصص التي تتكلَّم فيه عن الأحلام والرؤى هي تَحذيرات من الانخداع وراء رؤى الشيطان وأحلام العدو، بل إنه من النادر أن تَجد فيه قصة عن رؤية حقيقية.

طبعًا البستان كُتِب على مدى عدة أجيال ليُسجِّل لنا خبرة شيوخ كثيرين رَبُّوا أجيالاً من الرهبان. ويظهر منه أن شهوة الراهب الساذج كثيرًا ما تكون أن يرى قديسين وملائكة. ولذلك توجد بالبستان ٣٨ قصة[٤٤] على الأقل تُحذِّر عن الرؤى والأحلام المغلوطة، نذكر منها:

قصة أنبا باخوميوس:

[ظهر له الشيطان يتجلّى بصورة السيد المسيح وقال له: «اِفرح يا باخوميوس، لأني جئتُ لافتقادك». ففكَّر في نفسه قائلاً: «من شأن المناظر الإلهية أنها من لذة بَهجتها وحلاوة نعيمها تسبي تَخيُّلَ مستحقيها إليها، ولا يبقى لَهم فكر آخر، ولكن أفكاري الآن تروي فنونًا وألوانًا»، (بِمعنَى أن الرؤية

---

(٤٢) حديث بتاريخ: ٢٠٠٣/٦/٢٠ ، رقم الشريط: ٩٤

(٤٣) لابد أن يكون لكل راهب نسخة من بستان الرهبان في قلايته يرجع إليها باستمرار، فالبستان هو مرجعيتنا الأولى من بعد الإنجيل، هو دستور حياتنا، هو مدرسة رهبانية فِي صورة قصص تربوية بسيطة تَحوي مبادئ من أهم ما يُمكن تَحفظ الراهب من كل الانحرافات.

(٤٤) توجد مجموعة ٣٨ قصة بهذا المعنى من رقم ٧٣٠ إلى ٧٦٧، عدا ما يوجد في أماكن متفرِّقة من البستان.

الإلَهية الحقيقية تكون روحية وليست حسِّية). فلمّا وجده الشيطان مُفكِّرًا، أخذ في استئصال أفكاره، فقال الأب في نفسه: «إني كنتُ أفتكر أفكارًا، والآن فلا وجود لَها»، (بِمعنَى أن الرؤية كانت حسية بأشكال وألوان، ولما اعتبر باخوميوس ذلك دليلاً على زيفها، أخفى الشيطان هذه الأشكال والألوان). وإذ قال ذلك في نفسِه قام إلى الشيطان وهو باسطٌ يده كَمَنْ يريد أن يَمسكَه، وفي الحال صار كدُخَّانٍ وتلاشى] (قول ٧٣٠).

⊕ الذي نَخرج به من هذه القصة هو أن الرؤية الحقيقية ليس فيها ما يقع تحت الحواس من أشكال وألوان، ولكنها رؤية روحية داخل القلب.

قصة أخرى:

[إن الشيطان تراءى لشيخٍ في شبه ملاك نوراني وقال له: «أنا غبريال، قد أُرسِلتُ إليكَ». أجاب الشيخ: «لعلَّكَ أُرسِلتَ إلَى غيري، وأمَّا أنا فخاطئ». فلمّا سَمع الشيطان هذا الكلام منه باتضاع، اختفى ولَم يره] (قول ٧٣١).

فليس شيء يغلب ويَحرق الشيطان مثل الاتضاع، كما قال الشيطان لأنبا مقار: [أنتَ تصوم وأنا لا آكل، أنتَ تسهر وأنا لا أنام، ولكن بشيء واحد تغلبني. فقال له الشيخ: وما هو؟ فأجابه الشيطان: إنك بالاتضاع وحده تقهرني] (قول ٨٧٦).

قصة ثالثة:

ظهر الشيطان لشيخٍ وقال له: [«أنا هو المسيح». فأغمض الشيخ عينيه،

فقال له الشيطان: «أنا المسيح، وتُغمض عينيك؟!» فأجابه الشيخ قائلاً: «لا أريد أن أبصر المسيح ههنا». فلمّا سَمع إبليس منه ذلك، غاب عنه] (قول ٧٣٢).

«لأننا بالرجاء خلصنا. ولكن الرجاء المنظور ليس رجاء. لأن ما ينظره أحد كيف يرجوه أيضا؟» (رو٨: ٢٤).

«وأمّا الإيمان فهو الثقة بما يُرجى والإيقان بأمور لا تُرى» (عب١١: ١).

فلو أني رأيتُ المسيح بعينَيَّ ههنا، فأين هو الإيمان؟ تكون فضيلة الإيمان قد انتفت. هذا يُفسِّر لنا قول الشيخ «لا أريد أن أبصر المسيح ههنا».

قصة رابعة:

[**قال أنبا أور**: إني أبصرتُ إنسانًا في البريةِ خَيَّلت له الشياطينُ طغماتَ ملائكةٍ ومراكبَ حافلةً، وملكًا في وسطهم، فقال له: «أيها الإنسانُ، لقد أتقنتَ كلَّ شيءٍ، إذن خرَّ لي ساجدًا وأنا أرفعك كما رفعتُ إيليا». فقال الراهبُ في فكرِه: «أنا في كلِّ يومٍ أسجدُ لملكي المسيح، فلو كان هذا هو المسيح حقًا، لما التمس مني السجودَ الآن». ولما جال هذا في فكرِه قال: «إن ملكي هو المسيح وأنا دائمًا أسجدُ له، وأما أنت فلستَ ملكي». ولما قال هذا الكلامَ، تلاشى ذلك الخيالُ للوقتِ] (قول ٧٣٣).

من كتاب الدرجي:

[المُصدِّق المنامات يشبه مَنْ يريدُ أن يلحقَ ظلَّه ليُمسكَه، فإنَّ شياطينَ العجرفةِ ينذروننا في الحلمِ بِما يكون مكرًا منهم، فإذا تَمت المنامات نتخشَّع

نَحن كأننا قد تقرَّبنا من نعمةِ النبوةِ، فيتعجرف فكرُنا جُملةً، طائعين الشيطان. إن الشيطانَ هو روحٌ علاّمٌ بِما في طقسِ الهواء، فإذا عرف أنه قد مات فلانٌ يسرع ويُخبِر به ويَخدع خفيفي العقول، وقد يتشكَّل دفعاتٍ بشكلِ ملاكِ نورٍ أو شهيدٍ من الشهداءِ، ويُرينا ذلك في الحلمِ وإذا انتبهنا يَملأنا فرحًا وأبهةً] (بستان الرهبان، قول ٧٣٨).

فأخطر شيء أن يُريك شيئًا ما سوف يَحدث، وفعلاً يَحدث هذا الأمر، فيظنّ المخدوع أن هذه الرؤية حقيقية. ولكن الدرجي يقول: إن السبب في هذا هو أن الشيطان روح خفيف ويعرف من بعيد الشيء الذي حَدَث.

ومن بستان الرهبان أيضًا:

+ قال أحد الشيوخ:

[حتى ولو ظهر لكَ ملاكٌ حقيقيٌّ، فلا تقبله، بل حَقِّر ذاتك قائلاً: «أنا عائش بالخطايا، فلا أستحق أن أنظر ملاكًا»] (قول ٧٣٩).

قصة عن راهب خدعته الشياطين، وأخبرته بأمور جرت في بلدان مختلفة

[واتفق وقتئذ أن مضى ليفتقد أخًا مريضًا وتظاهر لِقومٍ كانوا هناك كأنه يَحكي عن غيره، فقال: «هل يُمكن لإنسانٍ أن يعلم ما يَجري في العالَم؟» فلمّا سَمعوه فهموا أنه هو المخدوع، فزجروه قائلين: «إن شغلتَ فكرك بِمثل هذا الخداع فلا تعُدْ إلينا». وللوقت انتبه وندم. فلمَّا عادت الشياطين تُخبِره، دعاهم كذبة، وللوقت تغيَّرت صورهم إلَى حيواناتٍ مُفزعة، وتَهدَّدوه وانصرفوا عنه]

(قول ٧٤١).

[في بعض الأوقات جاء إخوة إلَى الأب أنطونيوس يُخبِرونه عن أحلام يرونها، ليعلموا هل هي حقيقية أم من الشياطين، وكان معهم أتانٌ قد ماتت في الطريق. فلمّا سلَّموا عليه ابتدرهم قائلاً: «كيف كان طريقكم؟ وكيف ماتت الأتان الصغيرة؟» فأجابوه: «من أين علمتَ يا أبانا؟» فقال لَهم: «إن الشياطين أروني ذلك في حلم». فقالوا له: «ونَحن لِهذا الأمر بعينه جئنا نسألك لئلاَّ نضلّ، لأننا نرى أحلامًا ونُصدِّقها مرارًا كثيرة». فأكَّد لَهم الشيخ من حال الزمان الذي أخبَرهم به، أن هذه التخيُّلات من الشياطين]

(قول ٧٤٨).

فحتى لو رأيتَ أمرًا في حلمٍ، وتَحقَّق في اليوم التالي، فليس معنَى هذا أن الأحلام حقيقية، بل هي أحلام من الشياطين. وهذا من فم القديس أنطونيوس أب كل الرهبنة.

من سيرة أنبا أنطونيوس:

[يجب ألا نصلِّي لكي نعرف المستقبل، أو نطلب هذه المعرفة كأجرٍ لنسكنا] (فصل ٣٣).

[لأنه لن يُدان أحدنا بسبب ما لا يعرفه، ولا يُقال عن أحد إنه مبارك لأن لديه علم ومعرفة (بالغيب). بل يُدعَى كل واحد للدينونة في هذه الناحية: هل حفظ الإيمان واتبع الوصايا بحق؟] (فصل ٣٢).

وفي نفس الموضع يشرح أن الشيطان روح سريع الانتقال، فعندما يرى الأمطار

غزيرة في بلاد الحبشة، وهو يعرف أنها هي سبب فيضان النهر، فإنه يُسرع ويعلن الأمر قبل وصول المياه إلى مصر. (فصل ٣١).

فمبدأ القديس أنطونيوس هو: [لا ينبغي أن نُصلِّي لكي نعرف المستقبل]، ولكن نُصلِّي لكي يكون الرب معينًا لنا ونعمل الوصايا.

فليس هَمُّنا هو إخراج الشياطين أو التكلُّم بلسان أو عمل معجزات أو التنبؤ بالمستقبل، ولكن هَمُّنا أن نعمل الوصايا ونكون مرضيين عند الله.

+ والقديس بولس الرسول يوصي أهل كورنثوس بأن لا يكونوا أطفالاً في أذهانهم، فهو يُفضِّل أن يقول خمس كلمات بذهن (أي بفهمٍ) في الكنيسة لكي ينفع الآخرين بكلماتٍ روحية مفهومة أكثر من عشرة آلاف كلمة بلسان، مع أنه يشكر الله أنه يتكلَّم بألسنة أكثر من جَميعهم. لذلك «**لا تكونوا أولادًا في أذهانكم، بل كونوا أولادًا في الشرّ**» (١كو١٤: ١٨-٢٠).

فالولد الصغير لا يعرف الشيء الذي ينفعه، ولكنه يفرح بالشيء الباهر. قد يُبغض الطعام القوي الذي ينفعه ويفرح بالشكولاتة المغلِّفة بورق ذي بريق جذاب. لذلك يُنبِّه الرسول بولس أهل كورنثوس حتى «لا يكونوا أولادًا في أذهانكم» ولا يَجروا وراء المواهب الخارقة التي لا تنفعهم، بل أن يطلبوا ما ينفعهم بالحق.

وأيضًا من **رسالة القديس سِمعان** في البستان:

> [جَميع المناظر التي يُمكن للناس إبانتها في الأجسام، إنَّما هي من تَخايل أفكار النفس، وليست من أفعال النعمة، لأن من شأن هذا الأمر أن يتبع الرهبان

> شديدي البحث والفرنسة، مُحبِّي العجرفة، الجانِحين إلَى الكبْرياء والأُبَّهة، المتمسِّكين بالرفيعات، المرائين] (قول ٧٥٢).

ويقول مار إسحاق السرياني:

> [كل الذين يزعمون أن المسيح بعد ارتفاعه إلى السماء يظهر خارج الإنسان بشَبَهٍ تراه عين الجسد، هم رفاق أولئك القائلين: إن نِعم الملكوت أكل وشرب] (قول ٧٥٦).

ما العلاقة بين الاثنين؟ القائلون إن نعم الملكوت أكل وشرب يُحوِّلون الروحيات إلى أشياء حسية. كذلك الذين يريدون رؤية المسيح[٤٥] بعين الجسد.

قال أنبا باخوميوس:

> [سألني أحدُ الإخوةِ مرةً قائلاً: قل لنا منظرًا من المناظر التي تراها لنستفيدَ منه. فأجبته قائلاً: إن من كان مثلي خاطئًا لا يُعطَى مناظر، ولكن إن شئتَ أن تنظرَ منظرًا بهيًا يفيدُك بالحقِ فإني أُدِلُّكَ عليه وهو: إذا رأيتَ إنسانًا متواضعَ القلبِ طاهرًا فهذا أعظمُ من سائرِ المناظر. لأنك بواسطتهِ تشاهدُ اللهَ الذي لا يُرى. فعن أفضلِ من هذا المنظرِ لا تسأل] (البستان، قول ٧٨)

(٤٥) لاحظ أننا لا ننكر أن الإنسان يستطيع أن يرى الله، فكتاب حياة الصلاة به باب كامل عن رؤية الله، ولكن رؤية الله الحقيقية لا تكون بالحواس، بل تكون باطنية داخلية عن طريق حواس الروح وليس حواس الجسد.

الراهب والطموح[٤٦]

سؤال: هل جيدٌ للراهب أن يكون له طموح روحي؟!

أي أن يأخذ مواهب، أن يصنع معجزات، أن يرى المسيح والقديسين، يرى رؤى أو أحلامًا، أو يعلم الغيب، أو يقول للناس عَمَّا يُفكِّرون به، أو ينطق بالمستقبل .... إلخ.

الجواب: الطموح في هذه الأمور السابقة ليس هو الطموح المطلوب.

الطموح الجيد هو النمو في حب المسيح :

ولكن جيد للراهب أن يكون له طموح في حفظ الوصايا، ينمو في معرفة المسيح: عرِّفني ذاتك يا رب، أنتَ قلتَ: «أُظْهِر له ذاتي» (يو١٤: ٢١)، هذا وعدٌ منك، اِجعل لي علاقة وعشرة دائمة معك، أن أنمو في محبتك، أنمو في الحب الإلَهي.

يلزم أن يكون للراهب طموح في البذل، في السهر القلبي على مدى النهار كله، في الصلاة الدائمة، في القدرة على احتمال الضيقات والشتائم وكل السلبيات التي تندرج تحت اسم الصليب: «يَحمل صليبه ويتبعني». يكون له طموح في المقدرة على حَمل الصليب.

باختصار: «مغبوطٌ هو العطاء أكثر من الأخذ». مغبوط من يكون له طموح في العطاء والبذل بحفظ الوصايا، وليس له طموح في الأخذ، في أن يأخذ مواهب وأن يكون قديسًا وأن تأتيه الناس وتتبارك منه، ليس هذا هو الطموح المطلوب.

---

(٤٦) حديث بتاريخ: ٢٠٠٥/٢/١١ ، رقم الشريط: ١١٨

ولكن المطلوب هو النمو في العطاء والبذل وفي حفظ الوصايا وحب المسيح والنمو في معرفة المسيح على حقيقته، النمو في العشرة الدائمة مع الرب. هذه معروضة علينا على الدوام وبلا توقُّف، ومهما تقدَّم الإنسان روحيًا تنكشف أمامه أبعاد وآفاق أكثر وأكثر، بحيث أنه يكون مُطالبًا بالنمو أكثر وأكثر. لا يوجد اكتفاء، لا يوجد توقّف في الحياة الروحية.

أما الطموح في الأمور الأخرى التي ذكرناها، فهو الذي يُحذِّر منه البستان بتكرار كثير، حيث يذكر قصصًا عديدة لأصحاب هذا الطموح انتهى الأمر بهم إلى الضلال والهلاك.

هنا تقابلنا المضادة الإنجيلية التي نطق بها الرب: «**مَنْ وَجَدَ حياته يُضيِّعها، ومَنْ أضاع حياته من أجلي يَجدها**» (مت ١٠: ٣٩).

فالنمو هو في أني أُضيِّع حياتي من أجل المسيح، فأجدها في ملكوت السماوات. وليس النمو في أني أجد حياتي، أجد شهرة لي وسُمعة لي، كأني صرتُ قديسًا أو أصنع معجزات.

+ قول لأنبا أنطونيوس:

> **[لا يجب أن نصلي لكي نعرف المستقبل أو نطلب هذه المعرفة كأجر لنسكنا، لأنه لن يُدان أحدنا بسبب ما لا يعرفه من المستقبل، ولا يُقال عن أحد إنه مبارك لأن لديه عِلْمًا ومعرفةً للمستقبل، بل يُدعى كل واحد للدينونة في هذه الناحية: هل حفظ الإيمان واتبع الوصايا بِحقٍّ]**

(حياة أنطونيوس فصل ٣٣ و٣٢)

يا ابني، لا تطلب موهبة :

حكى أبونا متى المسكين أنه في بداية رهبنته كان يصلِّي كثيرًا للمسيح أن يعطيه موهبة لكي يخدمه بها، ولكن بعد فترة من الصلاة لأجل هذا الموضوع رأى حُلمًا، رأى أنبا أنطونيوس وأنبا باخوميوس يبتسمان له ولبعضهما البعض، وأخيرًا قال أنبا أنطونيوس لأنبا باخوميوس: قل له. فقال أنبا باخوميوس لأبينا متى: [يا ابني، لا تطلب موهبة، الموهبة تضرّك، الموهبة لا تنفعك]. فلما استيقظ تذكَّر قول الرب: «**كثيرون سيقولون لي في ذلك اليوم: يا رب يارب، أليس باسْمك تنبأنا وباسْمك أخرجنا شياطين ... فحينئذٍ أُصرِّح لَهم: إني لم أعرفكم قط، اِذهبوا عنِّي يا فاعلي الإثم**» (مت٧: ٢٢ و٢٣).

إذن، فالموهبة لا تُخلِّص الإنسان، الموهبة لا تضمن خلاص الإنسان. فيُمكن أن يصنع الإنسان معجزات أو يُخرِج شياطين أو يتنبأ باسم المسيح، وفي النهاية يسمع من المسيح: «إني لم أعرفكم قط، اِذهبوا عنِّي يا فاعلي الإثم».

ولكن الطموح الذي نطلبه هو النمو في حب المسيح وحفظ وصاياه.

آباؤنا كانوا يهربون من عمل المعجزات :

ولِهذا السبب كان القديسون يَهربون من عمل المعجزات. هذه النقطة متكرِّرة في البستان، فأنبا سيرابيون، على سبيل المثال، عندما كانوا يُريدون أن يُلزموه بعمل معجزة، كانوا يتحايلون لكي يعملها دون أن يدري وبدون أن يعلم:

+ [كان بِمصر إنسانٌ له ولد مُقعَد، فحمله إلَى أنبا سيرابيون وتركه عند باب قلايته، وابتعد عنه قليلاً متَرقِّبًا، فبكى الولد. فلمّا سَمع الشيخ صوت بكائه، خرج وقال له: مَنْ جاء بك إلَى ها هنا؟ فقال له: أبي. قال له: وأين هو؟ قال: تركني ومضى. فقال له: قُمْ، اِجرِ، والْحق به. فقام وجرى ولَحقه، فأخذه أبوه إلَى منزله وهو يُمجِّد الله] (البستان، قول ٢٥٥).

+ [وحدث أيضًا أن كان لإنسان ولد، ومات هذا الولد، فأخذه إلَى الشيخ ووضعه قدامه على وجهه وضرب مطانية وتراجع قليلاً. ولَم يعرف الشيخ أن الصبي ميت، وظنَّ أنه ساجد له، وانتظر ليقوم فلم يقُم! فقال له: قُمْ يا ولدي، الرب يبارك عليك. فقام الصبي حيًّا، فأخذه أبوه وعاد إلَى بيته شاكرًا لله ولقديسيه] (البستان، قول ٢٥٦).

+ [وحدث مرة أن أتوا بإنسانٍ إلى الكنيسة وكان قد اعتَراه جنون، وصلُّوا عليه فلم يخرج لأنه كان صعبًا. فقال الكهنة: ما الذي نعمله بهذا الروح لأنه لا يستطيع أحد منَّا أن يخرجه إلاَّ أنبا سيرابيون، وإن نحن أعلمناه وسألناه، امتنع من المجيء إلَى الكنيسة (إلَى هذه الدرجة كان القديسون يَهربون من عمل المعجزات، بالرغم من أن لَهم الموهبة)، فلنجعل هذا الرجل المعذَّب راقدًا في الموضع الذي يقف فيه أنبا سيرابيون ليصلي. فعند دخوله نقول له: يا أنبا سيرابيون، أيقظ هذا الرجل الراقد في البيعة، ففعلوا كذلك. إذ أنه لـمّا دخل الشيخ ووقفوا للصلاة، قالوا له: أيها الشيخ، أيقظ هذا الرجل الراقد. فقال له: قُمْ. وللوقت نهض مُعافىً بكلمة الشيخ] (البستان، قول ٢٥٧).

هذه أمثلة لتمنُّع القديسين الشديد من أن يصنعوا مُعجزات أو أن ينالوا شُهرة، لأن هذه الشهرة تُخرجهم من البساطة والاتضاع.

ولكن عند الاضطرار الشديد، وقد كانت لديهم رحْمة كثيرة، وأمامهم حالة تُحرِّك فيهم مشاعر الرحْمة، تُرَى ماذا كانوا يفعلون؟

[**مرة نزل الأب مقاريوس** من الإسقيط إلى الحصادِ وصَحِبَه سبعةُ إخوةٍ. وكانت امرأةٌ تلتقطُ خلفَ الحصَّادين وهي لا تكفُّ عن البكاءِ. فاستفهم الأب من رئيسِ الحصَّادين عن أمرِ هذه العجوز وعن سببِ بكائها دائمًا. فأجابه: «إن رجلَها عنده وديعةٌ لإنسانٍ مقتدرٍ. وقد مات فجأةً ولا تعلم المرأةُ موضعَ هذه الوديعةِ. وقد عَزِمَ صاحبُها على أخذِ أولادَها عبيدًا». فلما استراح الحصَّادون من الحرِّ، دعا الشيخُ المرأةَ وقال لها: «هلمي أريني قبرَ زوجِك». فلما وصل إليه صلى مع الإخوةِ. ثم نادي الميتَ قائلاً: «يا فلان، أين تركتَ الوديعةَ»؟ فأجابه: «إنها في بيتي تحتَ رِجلِ السريرِ». فقال له القديسُ: «نَمْ أيضًا». فلما عاين الإخوةُ ذلك تعجَّبوا. فقال لهم القديسُ: «ليس من أجلي كان هذا الأمرُ لأني لستُ شيئًا. بل إنما صنع اللهُ هذا من أجلِ الأرملةِ واليتامى». ولما سمعت المرأةُ بموضعِ الوديعةِ، انطلقتْ وأخذتها وأعطتها لصاحبها. وكلُّ الذين سمعوا هذا سبَّحوا الله] (البستان، قول ٣٩).

فعندما فعل أنبا مقار المعجزة، قال: إنه هو ليس شيئًا، ولكن الله هو الذي صنع هذا من أجل اليتامى والأرملة، وهكذا أخرج نفسه تَمامًا خارج الموضوع.

لاتطلبوا الرؤى والأحلام :

أمَّا عن الرؤى، فقصص البستان لا حصر لَها، ٩٠ ٪ مِمَّا ذكره البستان عن موضوع الرؤى والأحلام عبارة عن تَحذيرات عن خداعات الشياطين[٤٧].

> ظهر الشيطان مرّةً لراهب، وقال له: [«**أنا المسيح**»، **فأغمض الشيخ عينيه. فقال له الشيطان: «أنا المسيح، وتغمض عينيك»، فأجابه الشيخ قائلاً: «لا أريد أن أبصر المسيح ههنا». فلما سمع إبليس منه ذلك غاب عنه]**

(بستان الرهبان، قول ٧٣٢)

فالمسيح لا يُرَى بعيون الجسد، والأفضل أن نراه هناك من أن نراه هنا.

يقول مار إسحاق:

> **[كل الذين يزعمون أن المسيح بعد ارتفاعه إلى السماء يظهر خارج الإنسان بشَبَهٍ تراه عين الجسد، هم رفاق أولئك القائلين: إن نِعم الملكوت أكل وشرب]** (قول ٧٥٦).

ما العلاقة بين الفريقَين؟ القائلون إن خيرات الملكوت هي أكل وشرب هم أناس حِسِّيون، يَخلطون بين الأمور الروحية والأمور الحسِّية، أو يُخفِّضون الروح إلَى مستوى الجسد. هكذا مَنْ يقولون: إن المسيح والقديسين يُمكن أن نراهم بأعين الجسد.

---

(٤٧) نستعيد هنا بعضًا مما سبق أن ذكرناه من قصص في فصلٍ سابق، ولكن بقصد التركيز هنا على خطورة أن يكون للراهب أية شهوة أو طموح للرؤى والمناظر والأحلام.

الرؤية الحقيقية لا تُرَى بعين الجسد، ولكن بعين الروح.

من سيرة الأنبا باخوميوس:

> **[ظهر الشيطان للأب باخوميوس يتجلَّى بصورة المسيح، وقال له: «اِفرحْ يا باخوميوس، لأني جئتُ لافتقادك». ففكَّر في نفسه قائلاً: «من شأن المناظر الإلَهية أنها من لذة بَهجتها وحلاوة نعيمها تسبي تَخيُّل مُستحقيها إليها، ولا يبقى لَهم فكر آخر، ولكن أفكاري الآن تروي فنونًا وألوانًا»].**

فقام الشيطان على الفور وأخفى هذه الفنون والألوان، لكي أيضًا يَخدعه.

> **[فقال الأب في نفسه: «إني كنتُ أُفكِّر أفكارًا، والآن فلا وجود لَها»[٤٨]. وإذ قال ذلك في نفسه، قام إلَى الشيطان وهو باسط يده كَمَنْ يريد أن يَمسكه، وفي الحال صار كدخّان وتلاشى]** (قول ٧٣٠).

هذا هو إفراز القديسين المتقدِّمين في النعمة وفي تَمييز الأرواح. إنهم بسهولة يستطيعون أن يُميِّزوا بين الرؤية الحقيقية والرؤية الكاذبة.

احذروا من خداعات الشياطين :

أمَّا عند المبتدئين، فكل أقوال البستان هي تَحذير عن خداعات الشياطين طالَما لَم يصل الإنسان بعد إلَى موهبة الإفراز.

---

(٤٨) ذلك لأن الشيطان عندما رآه يُفكِّر هكذا، أحسَّ بأن عنده إفراز، وأنه يفهم أنه مادام المنظر فيه فنون وألوان وأشياء حسِّية، فلا يكون منظرًا روحيًا، لذلك لجأ إلى إخفاء هذه الفنون والألوان.

[قيل عن أحد الآباء إن الشيطان تراءى له في شبه ملاك نوراني، وقال له: «أنا غبريال، قد أُرسِلتُ إليك»، فأجاب الشيخ: «(العنوان غلط) لعلَّك أُرسِلتَ إلَى غيري، وأمَّا أنا فخاطئ». فلما سَمع الشيطان هذا الكلام منه باتضاع، اختفى ولَم يرَه] (قول ٧٣١).

+ قال أنبا أور:

[إني أبصرتُ إنسانًا في البرِّية، خيَّلت له الشياطين طغمات ملائكةٍ ومراكب حافلةً وملكًا في وسطهم، فقال له: «أيها الإنسان، لقد أتقنتَ كل شيءٍ، إذًا، خُرَّ لي ساجدًا، وأنا أرفعك كما رفعتُ إيليا». فقال الراهب في فكره: «أنا في كل يوم أسْجد لملكي المسيح، فلو كان هذا هو المسيح حقًا، لَما التمس منِّي السجود الآن». ولـمّا جال هذا في فكره، قال: «إن ملكي هو المسيح، وأنا دائمًا أسْجدُ له، وأمَّا أنتَ فلستَ ملكي». ولـمّا قال هذا الكلام تلاشَى ذلك الخيال للوقت. هذا ما شرحه ذلك الأب كأنه عن غيره، وأمَّا الآباء الذين كانوا معه، فقالوا إنه هو الذي رأى ذلك] (قول ٧٣٣).

ومعروفة قصة الراهب الذي ألحَّ على رئيس الدير لكي يسكن في مغارة، فوافقه على مضض وسكن الراهب الشاب المغارة ورفع السلم. وبعد مدَّة بدأت الشياطين تتلاعب به ويبصرهم وكأنهم ملائكة ويُخبرونه بالغيب وما يَجري في العالَم. ثُمَّ بعد ذلك أرسل للأب وقال له: إن الملائكة سوف تأتي يوم عيد الصعود ويأخذوني معهم. فأسرع الأب إليه وقال له: أأنتَ يا شقي تنظر ملائكة، إنهم شياطين.

وفي اليوم المُحدَّد أرادت تلك الشياطين أن تَخطفه، فأمسك به الرئيس بكل قوته وصرخ للرب يسوع قائلاً: أعِنْ الأخ المخدوع. فلم يستطيعوا أن يأخذوا منه إلاَّ وزرته. وبعد قليل وقعت الوزرة من علو السماء على الأرض. فقال له: أُنظُرْ يا شقي، ماذا كانوا يريدون أن يصنعوا بك؟! وأخذه معه للدير، وأمر أن يَخدم في المخبز لكي يُذلِّل نفسه ويُعيده إلَى رشده (البستان، قول ٧٣٤).

> قال شيخ: **[جَميع المناظر التي يُمكن للناس إبانتها في الأجسام، إنَّما هي من تَخايل أفكار النفس وليست من أفعال النعمة]** (قول ٧٥٢).

طالَما المنظر يُمكنك أن تتبيَّنه بالعين الجسدية، فهو من خداع النفس أو من خداع الشياطين، ولكن المناظر الروحية لا تكون حسِّية.

طوبى لِمَنْ يُبصر خطاياه كل حين :

> **[سُئل شيخ: «ما رأيك في أناسٍ يقولون إنهم يبصرون ملائكة؟!» فأجاب الشيخ: «طوبى لِمَنْ أبصر خطاياه كل حين»]** (قول ٩٠٣).

هذا هو ما ينفعك روحيًا، أمَّا رؤيتك لِملائكة فلن تنفعك بشيء.

> **[دخل راهبٌ إلَى البَرِّية، وكان يصوم الستة أيام، وفي اليوم السابع كان يأتي إلَى الصلاة ويتناول الطعام ولا يزيد عن الصلاة كلمة. فهذا مضى إليه الشياطينُ وخدعوه في أشياءٍ كثيرةٍ وأنذروه بأمورٍ جرت في بلدانٍ مختلفةٍ، فصدَّق بما خُيِّل له وظن بالمخيلين له أنهم أرواحُ قواتٍ قديسةٍ، واتفق وقتئذ أن مضى ليفتقد أخًا مريضًا وتظاهر لقومٍ كانوا هناك**

كأنه يحكي عن غيرِه فقال: «هل يمكن لإنسانٍ أن يعلمَ ما يجري في العالمِ»؟ فلما سمعوه فهموا أنه هو المخدوع، فزجروه قائلين: «إن شَغلتَ فكرَك بمثل هذا الخداع فلا تَعُد إلينا». وللوقت انتبه وندم، فلما عادت الشياطين تُخبره، دعاهم كذبةً، وللوقت تغيَّرت صورهم إلى حيواناتٍ مفزعةٍ وتهددوه وانصرفوا عنه] (قول ٧٤١).

هنا نرى إفراز جماعة الإخوة المباركين، الذين نجّوا الأخ المخدوع.

لاحظ أن كل هذه الخداعات جاءت لِشخص ينفرد، فالشيطان يتفرَّد به ويستطيع أن يَخدعه. ولكن الذي يسأل[٤٩] دائمًا سوف يَجد معونة، في حين أن الذي لا يسأل من السهل أن تتلاعب به الشياطين.

(٤٩) الأنبا أنطونيوس يكشف السبب في سقوط مثل هؤلاء، وهو أن الأخ المخدوع لَم يُصغِ للقول: «إسألْ أباك فيخبرك ومشايخك فيقولون لك» (قول ٣١)، وأيضًا: «الذين ليس لهم مدبِّرٌ يسقطون مثلَ الورقِ من الشجرِ» (قول ٣٢).

أسئلة متنوعة[٥٠]

سؤال:

[حِبّ الكلَّ ... وابتعد عن الكلِّ].

ما معنى هذه المقولة؟ وكيف يُمكن تنفيذها؟

الجواب:

+ تطبيق الجزء الأول من هذه الوصية الرهبانية «حِبّ الكلَّ» على مستوى عملي هو: أن تَخدم الكلَّ وتعمل على راحتهم وسعادتهم في حدود العمل الموكَّل إليكَ. وأيضًا أن تصلِّي من أجل الكلِّ، وبالأخصّ من أجل الضعيف والمُجرَّب.

+ أمَّا تطبيق «ابتعد عن الكل»، فيكون بأن تَمتنع عن الزيارات والأحاديث التي فيها مَضيعة للوقت واستماع الكلام الذي لا يَخصّك والتدخُّل فيما ليس من شأنِكَ.

فإن اضطررتَ أن تزور مريضًا لتخدمه، فلا تُبطيء عنده أو تأخذها فرصة لتتمادى في الأحاديث غير النافعة.

وإن رغبتَ أن تتمشَّى في الجبل، فلتكن وحدك لكي تتمتَّع بالعشرة مع ربِّكَ، وتشعر بأرواح القدِّيسين حولك.

وإن وُجِدتَ رَغمًا عنك في وسط آباء يتناقشون فيما لا يَخصّك، فكن كأعمى وأصمّ بينهم، ولكن لا تَحتقرهم بل اعتبِرهم أفضل منك.

---

(٥٠) إجابات مكتوبة ردًّا على أسئلة مُقدَّمة في ورقة.

سؤال:

لا أرغب في مقابلة أسرتي أو أي واحد من أصدقائي القدامَى، ماذا أفعل؟

الجواب:

+ يُمكنك أن تُقابلهم مرَّة أو مرتين على الأكثر في السنة، وكأنك مندوب عن الدير مُكلَّف أن تُزوِّرهم الدير والكنائس ليأخذوا بركة من القدِّيسين.

+ اجعلْ المقابلة في أقل حيِّز مُمكن من الوقت، ثُمَّ سلِّمهم للمسئول عن المضيفة ليتناولوا طعام الغذاء واستأذن منهم.

+ ضعْ في ذهنك أنك تُقابلهم من أجل إراحتهم هم، وليس من أجل إراحة نفسك أو عواطفك. ولكي يرتاحوا اِجعلهم يطمئنون أنك سعيد وفرحان بِحياتك الجديدة في الدير، فيذهبون مسرورين ويتمنُّون أن تكون لَهم علاقة بالمسيح تسعدهم مثلك.

سؤال:

أريد أن أكون مُتخلِّيًا عن كل قنية أو حتى عن كل ما هو ضروري، فلا أطلب منهم شيئًا. ماذا أفعل؟

الجواب:

لا مانع من أن تطلب منهم أن يُحضروا لكَ الكتب والمراجع الروحية التي تركتها في العالَم، فالدافع لذلك ليس هو مَحبة القنية، ولكن رغبة في الاستفادة من هذه

الوسائل التي تَجعلك تنمو وتتقدَّم في المعرفة الروحية (مثل: الخولاجي، فهرس الكتاب المقدَّس، السنكسار، كتابات آباء الرهبنة الأوائل، كتب أبينا الروحي، وكل ما شابه ذلك).

ولكي تستوثق أنك لا تُحب القنية، لا تَجعل قلايتك تتميَّز في شيء عن بقية القلالي.

سؤال:

ما الفرق بين المحبة النابعة من القلب والدالة (أو التعلُّق العاطفي) للمرشد الروحي؟

الجواب:

أنتَ تتتلمذ للمسيح وليس لإنسان ما.

والمرشد الروحي كما يدلّ اسْمه هو الذي يرشدك للمسيح، أي يشير بإصبعه إليه مثلما فعل يوحنا المعمدان قائلاً: «هذا هو ...». فكل هدفه وكل فرحه أن تتعلَّق بالمسيح وليس به. «مَنْ له العروس فهو العريس، وأمَّا صديق العريس الذي يقف ويسمعه يفرح فرحًا من أجل صوت العريس. إذًا فرحي هذا قد كمُل» (يو ٣:٢٩). فكل فرح المرشد أن يراك تُركِّز نظرك في المسيح وليس فيه، تتعلَّق بالمسيح وليس به.

سؤال:

متى أذهب للاستِرشاد الروحي؟
وكيف أستفيد منه؟

الجواب:

+ الذهاب للاستِرشاد الروحي يكون كلما كان لكَ سؤال مُحيِّر أو موقف لا تعرف كيف تتصرَّف فيه.

+ والاستفادة منه تكون بتطبيق ما يقوله، بصدق وإخلاص. فبقدر التطبيق يُعطِي الله الكلمة للمرشد. وبقدر عدم التطبيق يرفع الله الكلام عن الشيوخ، كما جاء في بستان الرهبان (قول ٨٦٠).

سؤال:

«ويكون الجَميع متعلِّمين من الله» (يو٦: ٤٥).
ما المقصود من هذه الآية؟

الجواب:

التعليم الرهباني والإرشاد الروحي يعتمد أساسًا على هذه الآية.

فالكلام الروحي الذي يقوله المرشد لا يُثمر إلاّ في الذي عنده في قلبه بذرة روحية مُعطاة له من الله تَجعله يستوعب الكلام ويتوافق معه ويُطبِّقه. أمَّا الذي ليست له هذه البذرة الروحية في قلبه (بسبب أنه أغلق قلبه أمام النعمة)، فمهما كلَّمه الأب الروحي فلن يستوعب الكلام ولن يفهمه ولن يستطيع أن يتوافق معه ويُطبِّقه.

سؤال:

أجد إلْحاحًا كبيرًا لكتابة تأملاتي...

لِماذا أكتب؟ ولِمَنْ أكتب؟ وما هو مصدر هذه الأفكار؟

الجواب:

+ لماذا أكتب؟

أنتَ تكتب لتُسجِّل ما يعطيه الله لكَ قبل أن يضيع منك ويأخذه النسيان.

+ ولِمَنْ تكتب؟

أنتَ تكتب لنفسك في الأيام القادمة، حتى يُمكنك أن تستَرجع بسهولة المشاعر الروحية التي وصلتَ إليها، فيزيدك الله عليها أكثر. وستعرف قيمة ذلك في السنين القادمة:

- ففي أوقات الفتور سيساعدك ما سبق أن كتبته لتستَرجع حياتك الروحية.
- وفي أوقات النشاط الروحي سيساعدك ما سبق أن كتبته لتتقدَّم أكثَر وتصل إلَى مشاعر روحية أعلى وأعمق بدلاً من أن تبدأ كل مرَّة من الصفر.

لكن لا تضع في ذهنك أنك تكتب لغيرك.

+ وما هو مصدر هذه الأفكار؟

- هل هي من الله؟

– نعم هي من الله.

- أم من وحي الخيال؟

– الله يُمكن أن يستعمل الخيال ليُكلِّمنا من خلاله.

- أم نتيجة تأثّري بِما قرأته وسَمعته؟

– والله يُمكن أن يستخدم تأثّرنا بِما قرأنا ليُكلِّمنا به.

- أم بسبب انفعالات نفسية أو روحية؟

– والله يُمكن أن يستخدم هذه أيضًا ليُكلِّمنا بِها.

المهم هو أن نكون سلَّمنا حياتنا بالتمام وبصدقٍ وإخلاصٍ للمسيح، وأن لا نعيش فيما بعد لأنفسنا بل للذي مات لأجلنا وقام (٢كو ٥:١٥). وحينئذٍ يستلم هو كل كياننا بكل مشاعرنا وانفعالاتنا النفسية والروحية ويُكلِّمنا من خلالِها.

- أم هي حروب من الشيطان بالغرور والكبرياء؟

– ليست من الشيطان بل من الله.

ولكن الشيطان يتمنَّى أن يضع إصبعه فيها لكي يفسدها ويَجعلها تَخدم أغراضه المنحرفة. وسبيلنا لكي نتحصَّن ضد ذلك أن نعرف طبيعتنا أننا «تراب ورماد» (تك١٨:٢٧)، وأنه ليس فينا شيء صالِح من أنفسنا (رو ٧:١٨). ولكن كل ما هو صالِحٌ فينا هو من الله وليس مِنَّا. فإن كُنَّا أخذناه من الله فكيف نفتخر كأنه مِنَّا؟ (١كو٤:٧). فنحن من أنفسنا «لسنا كفاة من أنفسنا أن نفتكر شيئًا كأنه من أنفسنا بل كفايتنا من الله» (٢كو ٣:٥).

وأما أنا من نفسي «فأنا دودة لا إنسان» (مز ٢٢:٦)، «الإنسان الرمَّة وابن آدم الدود» (أي ٢٥:٦).

الراهب وأخبار الكنيسة[٥١]

سؤال: كيف نُوفِّق بين فرحنا في شهر كيهك بِمَجيء العريس وتَجسُّد الكلمة وبين حزننا على ما نسمعه من أخبار الكنيسة والمشقَّة الواقعة على إخوتنا الذين في العالَم؟

الجواب: أولاً، هذا الأخ صاحب السؤال معه حقّ، لأننا لا نستطيع أن نفصل أنفسنا عن جسد الكنيسة وعن إخوتنا الذين في العالَم. فكلُّنا جسدٌ واحد، فإن كان عضو واحد يتألَّم، فجميع الأعضاء تتألَّم معه.

«**مَنْ يضعف وأنا لا أضعف، مَنْ يعثُر وأنا لا ألتهب؟!**» (٢كو١١: ٢٩)

فجيدٌ أن تكون لنا مشاركة روحية مع إخوتنا المُتألِّمين ، مع الكنيسة كلها، وأن نشعر بالتجارب التي تُصيب الكنيسة في العالَم.

أمَّا أن هذا يتعارض مع فرحنا في المسيح، فهي النقطة التي نريد معالَجتها الآن:

كيف ننزعج والمسيح معنا؟!

✝ المسيح في تعامله مع تلاميذه الاثني عشر، الذين هم أساس الكنيسة، كان يَختار المواقف الصعبة لكي يغرس في كيان الكنيسة، في ضمير الكنيسة، في لاشعور الكنيسة، أنه في وسط التجارب الصعبة جدًا هو موجود ولا ينبغي أن ننزعج. تركهم مرَّةً في السفينة وهي معذَّبة من الأمواج، ثم جاءهم في الهزيع الرابع (مر٦:٤٨)

---

(٥١) حديث بتاريخ: ٢٠٠٤/١٢/١٧ ، رقم الشريط: ١١٥

فسكنت الريح وجاءت السفينة إلى شاطئ الأرض التي كانوا ذاهبين إليها (يو٦:٢١). وهو ما نقرأه كل يوم في إنجيل الستار.

ومرة أخرى قال المسيح لتلاميذه: «لنجتز إلَى العبر» (مر٤:٣٥). وهو يعلم جيدًا أنه في هذه الليلة ستقوم عاصفة شديدة جدًا. إذا كنتَ تعلم يا رب أنه في هذا المساء ستقوم العاصفة، ألَم يكن الأفضل أن تقول لَهم: من الأفضل أن نبيت في هذا المكان وغدًا نسافر؟! لا، المسيح قصد ذلك قصدًا لهدف كان يرمي إليه.

«فصرفوا الجَمع وأخذوه كما كان في السفينة وكانت معه أيضًا سفن أخرى صغيرة. فحدث نوء ريح عظيم، فكانت الأمواج تضرب إلَى السفينة حتى صارت تَمتلئ وكان هو في المؤخر على وسادةٍ نائمًا».

قصَدَ المسيح أن يُظهِر نفسه في هذه الظروف وكأنه نائم.

«فأيقظوه وقالوا له: يا مُعلِّم أما يَهمُّك أننا نَهلك؟! فقام وانتهر الريح وقال للبحر: أُسكت اِبكم. فسكنت الريح وصار هدوء عظيم. وقال لَهم: ما بالكم خائفين هكذا ؟! كيف لا إيمان لكم؟!» (مر٤:٣٥-٤٠).

القصد من قراءتنا لهذا الفصل: أن المسيح لَم تعجبه الكلمة التي قالَها التلاميذ له: «يا مُعلِّم، أما يَهمّك أننا نَهلك؟!» صحيح أن المسيح انتهر الريح وعمل المُعجزة، ولكن بعد هذا عاتبهم وقال: ما بالكم خائفين هكذا ؟! كيف لا إيمان لكم؟

⊕ ولكن ماذا كان يَجب على التلاميذ أن يصنعوه؟ كان من المفروض عليهم أن لا يقولوا: إننا نَهلك. كيف يَهلك التلاميذ، والرب موجود معهم في السفينة؟ هذا كلام خطأ. ألَم تعرفوا مَنْ أنا؟! ألَم تَروا كل المُعجزات السابقة؟! إنها خيبة أمل للمسيح. فبعد كل مُعجزاته، تقولون: نَهلك؟

في هذه العبارة أكثَر من غلطة:

١- «**أما يَهمُّك**»: هل نَحن لا نَهمّ الله؟!

٢- «**أننا نَهلك**»: هل مُمكن أن نَهلك والمسيح معنا في السفينة؟!

فالمسيح راجعهم: «ما بالكم خائفين هكذا؟!»

«كيف لا إيمان لكم؟!»

كيف تقولون هذا الكلام؟!

الاضطراب والانزعاج دليل عدم الإيمان :

عندما تدخل السفينة في العواصف، عندما تدخل الكنيسة في التجارب لا ينبغي أن ننزعج.

فماذا كان ينبغي على التلاميذ أن يفعلوه؟

كان المفروض أن يوقظوه، ولكن لا يقولوا إننا نَهلك، ولا يقولوا إنك غير مُهتمّ بنا.

كان المفروض أن يقولوا:

«يا رب، نَحن نؤمن أنك في وسط السفينة، نؤمن أن قوتك تستطيع أن تصنع المعجزات. من المستحيل أن نَهلك وأنتَ معنا. يستحيل أن تقوى الأمواج على السفينة وأنت فيها».

«قُم أيها الرب وليتبدَّد جَميع أعدائك»:

لاحظ أن القديس أنطونيوس كان يُحب أن يقول هذه الآية في صلاته. فكان في الحال يَرى النتيجة وهو في مغارته. (حياة أنطونيوس، فصل ١٣)

التجارب التي تُحيط بالكنيسة لا ينبغي أن تُسبِّب لنا انزعاجًا. صحيح أنه ينبغي أن نَحزن على الذين يتركون الحظيرة، ولكن في نفس الوقت، هذا الحزن لا يُبطِل فرحنا بالمسيح. بل على العكس، هذا الحزن ينبغي أن يدفعنا إلى أن نتمسَّك أكثر بالمسيح ونلتصق به، وعلى قدر ما نَزيد التصاقنا به على قدر ما تقتَرب الكنيسة من الحلّ والمُعجزة.

⊕ قصة أيام الملك يَهوشافاط:

عندما اجتمعت ثلاثة جيوش لمحاربة شعب الله، فماذا فعل يَهوشافاط؟ إنه استشار الشعب، فأقام مُغنِّيين في زينةٍ مقدَّسة يتقدَّمون أمام الجيش وهُم يُسبِّحون الله قائلين: «سبِّحوا الله لأنه صالِحٌ ولأن إلَى الأبد رحْمته» (٢أي٢٠: ١-٣٠). ماذا فعلوا؟ إنَّهم سبَّحوا. وماذا كانت النتيجة؟ انحلَّت المشكلة من نفسها بِمُجرَّد التسبيح، ولَم تكن هناك حاجة إلَى حرب.

يقول مزمور: «**تلذَّذ بالرب فيُعطيك سؤلَ قلبك**» (مز٣٧: ٤). اِفرح بالمسيح، تلذَّذ به، زَوِّد حبَّكَ له، زَوِّد التصاقك به، فيستجيب لكَ:

«**يستجيب لكَ الرب في يوم شدَّتِكَ**» (مز٢٠: ١).

هذا المزمور «تلذَّذ بالرب فيُعطيك سؤلَ قلبك» هو نبوة لِما قاله الرب يسوع في مثل الكرمة:

«**إن ثبتُّم في وثبُتَ كلامي فيكم، تطلبون ما تريدون فيكون لكم**»

(يو١٥: ٧).

آمين. آمين. آمين.